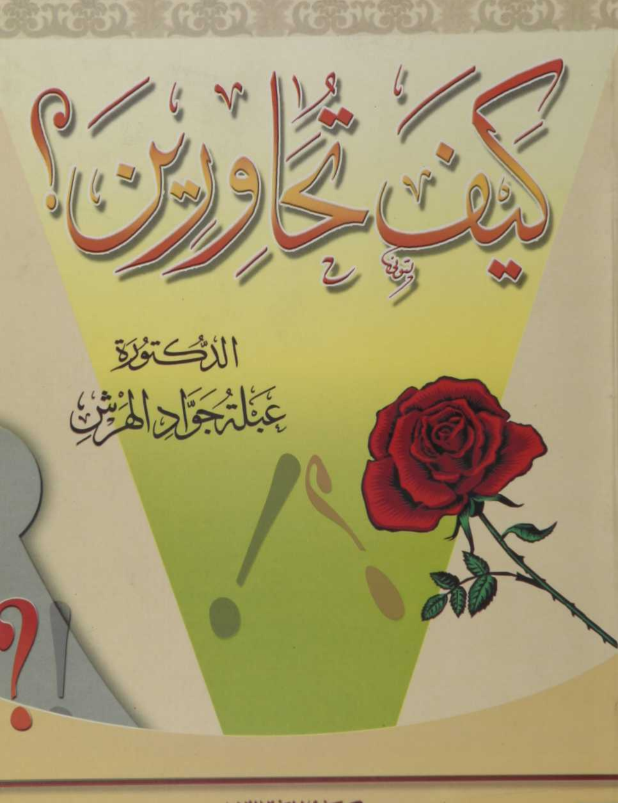


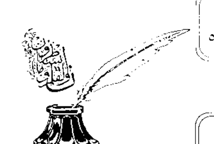
مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة



الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة .

ت: ٥٦٣٣٥٧٥ - فاكس: ٥٦٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة - عين شمس .

ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥



إلى بنيتيَّ الحبيبتين غادة ونجلاء.

إلى الجيل الصاعد من المسلمات.

إلى كل مسلمة سلكت طريق العمل الصالح.

أهدي هذه الرسالة

قال تعالى:

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾

[الكهف: ٣٤]

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾

[الكهف: ٣٧]

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾

[المجادلة: ١].



- المقدمة
- تحديد مفهوم الحوار لغةً واصطلاحًا.
- الفرق بين الحوار والمجادلة

■ المقدمة ■

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

إن فن العلاقات الإنسانية علم من العلوم الحديثة التي تدرس في الجامعات الغربية، وأدب الحوار من العلوم التي تدخل تحت هذا الباب؛ فهو علم مهم لكل شخص، ينبغي أن يلم بأسسه ومبادئه؛ لأنه وسيلة من وسائل التواصل مع الآخرين وهو طريق من طرق عرض الآراء ووجهات النظر، وبالتالي فهو وسيلة لتبليغ العلم، ومع أن هذا العلم أصبح علمًا قائمًا بذاته يعتمد على الدراسات العلمية الجادة، إلاّ أن المتتبع لما يكتبه الغربيون عن فن الحوار والتعامل مع الآخرين يلاحظ أن معظم قواعده ذات أصول راسخة في الشريعة الإسلامية، فالمتتبع لكثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة يجد أن آداب وأخلاق الحوار مبثوثة فيها؛ فكثير منها تدعو المسلم إلى حسن الخلق في خطابه مع الآخرين والتعامل معهم، كما أن فيها الكثير من التوجيهات التي تعتبر قواعد وأسس تتعلق بهذا العلم.

فالناظر في قوله -تعالى- : **﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾**(الإسراء:٣٦)، يجد القاعدة التي ينادي بها علماء الغرب، وهي الأمانة العلمية في نقل المعلومة التي يقدمها الإنسان، فالله -تعالى- يجعل المرء مسؤولاً عن الكلمة التي يتلفظ بها والمعلومة التي يقدمها؛ لذلك فإنه -تعالى- يدعوه إلى نقلها بصدق وأمانة ويجعل سمعه وبصره وفؤاده مسؤولاً عن كل ما يتلفظ به.

والمتأمل لحديث النبي ﷺ : «**إن أحبكم إليَّ أحاسِنكُمْ أخلاقًا، الموطؤون**

أكنافًا[١]، الذين يَألَفون ويُؤلَفون[٢] وإن أبغضكم إليَّ المشاؤون بالنميمة[٣]، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبُرآء العيب[٤] »، يجد قاعدة عامة تحدد الإطار الذي يجعل المرء مألوفًا ومحبوبًا عند الآخرين؛ وهو ما يدعو إليه الكثيرون في دراسات تتعلق بكسب الأصدقاء وكيفية التأثير في الناس، فالمتأمل في مبادئ الإسلام يجد الكثير من الآداب والأخلاق التي ينبغي أن يراعيها المتحاورون ليخرجوا من جلسة الحوار بنفوس راضية، وعقول مقتنعة بما قيل، إلاّ أن البعد عن الجادة جعل الكثيرين يحولون جلسات الحوار إلى حلبة من الصراع الذي لا ينتهي، صراع دائم هدفه أن يظهر الفائز المنتصر أو الخاسر المنهزم، وهذا الأمر حالة يرثى لها في مجتمعاتنا التي دعا الإسلام إلى أن تكون متراصة متحابة يسودها جو الألفة والمودة.

فما أكثر أن يخرج المتحاورون بعد الحوار متنافرين متباغضين، وما أكثر الآراء والاختلافات التي تطرح في جلسات الحوار فلا يكاد يخرج المستمع منها بأمر مفيد؛ بل يرى أشخاصًا ؛ يحمل كل منهم راية تمثل وجهة نظره، فهو ليس على استعداد لأن يسمع للطرف الآخر ، بل يريد في كثير من الأحيان أن يفرض آراءه على الآخرين بالقوة، حتى لو كانت تلك الآراء خاضعة للاختلاف في وجهات النظر؛ لذلك فقد قدم بعض الكتاب المعاصرين بعض الآداب والأخلاق التي ينبغي التحلي بها عند الحوار مع الآخرين؛ ومن هؤلاء: الدكتور طارق بن علي الحبيب، في كتابه: «كيف تحاور: دليل علمي للحوار» مستفيدًا

---

(١) الموطؤون أكنافًا : لينو الحديث لا يتأذى منهم أحد .

(٢) يألفون ويؤلفون: يحبهم الناس ويحبونهم .

(٣) المشاؤون بالنميمة : الساعون في الإفساد بين الناس .

(٤) الملتمسون للبُرآء العيب: الباحثون عن عيوب الناس وهم أبرياء من ذلك:

ينظر: ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، دار الفكر، لبنان د.ت، ج٥، ص٢٠٠، والحديث رواه الطبراني.

من كتابات بعض الغربيين؛ مثل ديل كارينجي، وقد أشار المؤلف إلى ذلك في مقدمة كتابه، وكتب في هذا الموضوع أيضًا الباحث أكرم مصباح عثمان- بحثًا قدمه إلى جمعية المعلمين.

والبحث يركز على مسألة توظيف الحوار كأداة للتأثير والإقناع في المجال التعليمي، فجزى الله خيرًا كل من أدلى بدلوه في هذا الموضوع، وهذه الرسالة تشترك مع ما كتب في أدب الحوار سابقًا من ناحية الفكرة، وقد جعلتها رسالة تأصيلية شرعية تستمد أصولها ومبادئها العامة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال علمائنا القدماء، ووجهتها إلى أخواتي من النساء لنخرج من جلسة الحوار بنفوس راضية متآلفة؛ فالاختلاف في وجهات النظر مهما كان شاسعًا ينبغي ألاَّ يفسد الود، فقدمت في هذه الرسالة أهم المبادئ والأسس التي ينبغي مراعاتها عند التحاور مع الآخرين وذيلتها بمجموعة من النماذج من الحوار للنساء، راجية الله -تعالى- أن تكون هذه الرسالة مرجعًا سهلاً، تهتدي به الأخت المسلمة، وتوجه به حوارها مع الآخرين.

- تحديد مفهوم الحوار لغة واصطلاحًا:

الحوار مشتق من الحَوْر؛ وهو الرجوع من الشيء إلى الشيء، ففي حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (فغسلتها ثم أجففتها ثم أحرتها إليه)؛ أي: أرجعتها إليه، وفي حديث بعض السلف: «لو عيَّرت رجلاً بالرَّضْع[١]؛ لخشيت أن يحور بي داؤه» أي: أن يكون عليَّ مرجعه[٢].

والحوْر معناه : النقصان بعد الزيادة؛ لأنه رجوع من حال إلى حال، قال

(١) الرَضع: يرضع الغنم من ضروعها ولا يحلب اللبن في الإناء: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٢٣٠ .

(٢) ابن منظور، جمال بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م ، ج٤، ص٢١٨ .

رسول الله ﷺ : «اللهم إنا نعوذ بك من الحور بعد الكَوْر»[١] أي: النقصان بعد الزيادة، ويقال: حار عمامته، إذا نقضها، كما يأتي الحوْر بمعنى التردد إما بالذات أو الفكر، فيقال : حار الماء في الغدير، إذا تردد فيه.

والحوار هو: المرادَّة في الكلام، ومنه التحاور، فيقال: كلَّمته فما رجعت منه حوارًا أي: جوابًا، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وهو مصدر كالمشاورة، ويقال: ضعيف الحَوْر. أي: المحاورة[٢].

- الفرق بين الحوار والمجادلة:

الجدال: مشتق من الجدَل، وأصله من جدلت الحبل، أي: أحكمته فتلاً، وجدلت البناء أحكمته، ومنه المجادلة كأن المتجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدال الصرع، وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة [٣] .

وفي الاصطلاح : هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان؛ وهو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة ويقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة[٤].

قال القرطبي: المجادلة: دفع القول عن طريق الحجة بالقوة وهو مأخوذ من الأجدل؛ طائر قوي، وقيل: مأخوذ من الجدالة وهي الأرض فكأنما يغلبه بالحجة

---

(١) الترمذي: الدعوات، رقم ٣٣٦١ .

(٢) الراغب الأصفهاني: مفردات الفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم، دمشق ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص٢٦٢، وابن منظور: المصدر السابق.

(٣) الراغب الأصفهاني: المصدر السابق، ص١٨٩ .

(٤) الجرجاني، محمد بن علي: كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ/ ص١٠١ .

ويقهره حتى يصير كالمجدول في الأرض، وقيل: مأخوذ من الجدل وهو شدة الفتل فكأنما كل واحد يفتل حجة صاحبه حتى يقطعها، ويكون الجدال حقًّا في نصرة الحق وباطلاً في نصرة الباطل[١].

وقد وردت كلمة (الجدل) بمشتقاتها في القرآن الكريم في عدة مواضع، فقد وردت ممدوحة في مواضع إلاّ أنها وردت في أكثر المواضع مذمومة؛ وقد مدح الله -تعالى- إبراهيم -عليه السلام- بثلاث صفات هي: حليم، أواه، منيب[٢]، وجاء هذا المدح بعد مجادلة إبراهيم -عليه السلام- للملائكة كما ورد في قوله -تعالى- :

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾(هود: ٧٤).

فبعد أن ذهب الروع عن إبراهيم -عليه السلام- وهو الخوف الذي أصابه عندما جاءته الملائكة، ولم يأكلوا مما قدمه لهم من طعام، وبشروه بغلام، وبهلاك قوم لوط، أخذ يجادل الملائكة في مصير قوم لوط، فالمروي في بعض كتب التفسير أنه أخذ يقول: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، حتى بلغ خمسة، قالوا: لا. قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مؤمن، أتهلكونها؟ قالوا: لا. فقال إبراهيم -عليه السلام- عن ذلك: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾(العنكبوت: ٣٢) [٣].

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م، ج٧، ص٧٧.

(٢) الأوَّاه: هو رقيق القلب، والمنيب: الذي يرجع إلى الله وإلى الحق في قضاياه، ومجادلة إبراهيم -عليه السلام- في عقاب قوم لوط لم تكن ردًّا لأمر الله وإنما طلبًا للإمهال لعلهم يؤمنون وذلك لرقة قلبه: الشعراوي، متولي: تفسير الشعراوي، قطاع الثقافة، د.ت، ج١٣ ص٦٥٧٠.

(٣) الصابوني، محمد علي: مختصر تفسير ابن كثير، دارالفكر، بيروت، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م، ج٢، ص ٢٢٤

فتلك الصفات الثلاث المذكورة في الآية الكريمة: (حليم، أواه، منيب) هي التي أهلت إبراهيم -عليه السلام- ليجادل الملائكة في قوم لوط، إلا أن الرد جاءه بأن أمر الله -تعالى- فيهم قد مضى، ولم يعد هناك مكان للجدال، قال-تعالى- ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾(هود: ٧٥).

كما ورد لفظ الجدال ممدوحًا في مجادلة أهل الكتاب، فلا بأس بمحاورتهم ومجادلتهم ولكن لابد أن يكون ذلك برفق ولين وحسن خطاب، لذلك فقد جاء مقيدًا بالحسنى، كما ورد محصورًا ومقصورًا على من لم يظلم منهم، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾(العنكبوت: ٤٦).

وجاء لفظ الجدل ممدوحًا في سورة المجادلة، فقد سمى الله -تعالى- ما دار بين الصحابية الجليلة: خولة بنت ثعلبة والنبي ﷺ من حديث تارة حوارًا وتارة مجادلة، فالمروي في كتب التفسير والتراجم أن خولة بنت ثعلبة وهي زوجة أوس بن الصامت - شقيق عبادة بن الصامت- ظاهر منها زوجها، فجاءت تشتكي إلى رسول الله ﷺ ، وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها الحوار الذي دار بينها وبين النبي ﷺ فقالت: (تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى الرسول ﷺ وهي تقول: «يا رسول الله، أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك». قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : «فما برحت حتى نزل جبريل -عليه السلام- بهذه الآية»: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى

اللَّهُ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾(المجادلة: ١). [١] وقد سمي حوارها مع النبي ﷺ مجادلة؛ لأنها كانت تراجع النبي ﷺ في الكلام، وفي نفس الوقت تحاول حشد الأدلة؛ لتأييد رأيها بأن ما وقع عليها من ظهار سوف يجر البلاء والأذى على أسرتها؛ فقالت: «لي منه صبية صغار، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا» [٢].

فالجدال والمحاورة يتداخلان في مسألة المرادّة والمراجعة في الكلام، ولكنهما يفترقان في أن الجدال فيه محاولة لإلزام الطرف الآخر بالحجة والبينة والبرهان، وأحيانًا يكون في الجدال نوع من الخُصومة، أما الحوار فليس بالضرورة أن يكون كذلك. أما المواضع التي ذم فيها القرآن الكريم الجدال فهي كثيرة وتشمل الجدال بالباطل لإدحاض الحق، والجدال بغير علم ولا هدى؛ ومن ذلك قوله -تعالى- ﴿ماجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾(غافر: ٤). .

قال القرطبي: (المراد بالجدال بالباطل الطعن في آيات الله، والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله، أما الجدل لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها، ومقاومة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ عنها، فأعظم جهاد في سبيل الله)[٣].

ومن ذلك أيضًا قوله -تعالى- : ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(الحج: ٦٨).

قال القرطبي: (في هذه الآية حسن أدب علمه الله عباده في الرد على من جادل تعنتًا ومراء ألاّ يجاب ولا يناظر، ويدفع بهذا القول الذي علمه الله لنبيه)[٤].

(١) جزء من الحديث ورد في صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: وكان الله سميعًا بصيرًا، وباقي الحديث ورد عند ابن ماجه، كتاب الطلاق رقم ٢٠٦٣، ينظر: السيوطي، جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٨،

(٢) ابن القيم الجوزية: بدائع التفسير، دار ابن الجوزي،ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج٤، ص٩٦ ، والشوكاني، محمد ابن علي: فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج٤ ، ص ٥١٣ .

(٣) القرطبي: الجامع، ج١٥، ٢٩٢ .

(٤) القرطبي: الجامع، ج١٢، ص ٩٤ .

ويلاحظ أن الحوار لم يرد في القرآن الكريم مذمومًا قط، فقد ورد في ثلاثة مواضع فقط وهي قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾(الكهف: ٣٤).

وقوله -تعالى-: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾(الكهف: ٣٧).

والآية السابق ذكرها في سورة المجادلة، إلا أن الحوار يصبح مذمومًا إذا تحول إلى جدل ومراء؛ لذلك سيتم في الصفحات القادمة إلقاء الضوء على أهم مبادئ وأصول الحوار والآداب التي ينبغي التحلي بها عند محاورة الآخرين.

❁❁❁

▫ الفصل الأول ▫

مبادئ وأصول الحوار

المبحث الأول : سلامة القصد .

المبحث الثاني : العلم .

المبحث الثالث: الحجة والبرهان .

■ المبحث الأول ■

● سلامة القصد ●

«ياقوم أريدوا بعلمكم الله؛ فـإني لم أجلس مجلسًا قط أنوي فـيه أن أتواضع إلاَّ لم أقم حـتى أعلوهم، ولـم أجلس مـجلسًـا أنوي فـيـه أن أعلوهم إلاَّ لم أقم حـتى أُفتضح»

القاضي ابو يوسف

رحمه الله

لابد أن يكون القصد من وراء الحوار الوصول إلى الحق، وليس مجرد إقناع الطرف الآخر بوجهة نظرك، أو إفحامه بالأدلة والبراهين وإسقاط حججه؛ لذلك ينبغي عليك أختي كمحاورة أن تجعلي نيتك خالصة لوجه الله -تعالى- فتحاوري الآخرين إظهارًا للحق، ولا تغضبي إذا ظهر الحق على لسان غيرك، وهكذا كان علماؤنا القدماء لا يبالون على لسان مَنْ ظهر الحق؛ بل كانوا يتمنون أن يظهر الله الحق على لسان غيرهم تقى وتورعًا ولكي تبرأ النفس من الرياء، وحب الظهور، فقد روي عن الإمام الشافعي - رحمه الله- أنه كان يقول: (ما كلمت أحدًا قط إلا ولم أبالِ أَظهَر الله الحق على لسانه أو لساني). وفي رواية أخرى: (ما ناظرت أحدًا على الغلبة، وددت إذا ناظرت أحدًا أن يظهر الحق على يديه)[١] .

وكان -رحمه الله- لشدة تقاه وورعه يتمنى أن الآراء الفقهية والاجتهادية التي رويت عنه لم تنسب إليه وإنما عرفها الناس من غيره فقال: (وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على ألاَّ ينسب لي حرف منه)[٢].

كما روي عن الفقيه عبد الرحمن ابن أبي ليلى أنه قال: (أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ، ما أحد يسأل عن حديث أو فتوى إلا ودَّ أن أخاه كفاه ذلك، ثم آل الأمر إلى أقوام يدعون العلم، يقدمون على الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب ﵁ لجمع أهل بدر واستشارهم)[٣].

---

(١) النووي، محيي الدين بن شرف: المجموع شرح المهذب، تحقيق محمد المطيعي، دارإحياء التراث العربي، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج١، ص٥٤ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن قدامة المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن: مختصر منهاج القاصدين، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص٢٦ .

لقد حرص علماؤنا القدمـاء على أن يذكِّروا محاوريهم أن يكون هدفهم من وراء الحوار والاجتماع في المجـالس هو وجه الله -تعالى-لأن الذي يجعل هدفه إظهار الحق لا يليق به أن يدخل الشحناء والبغضاء في حواره مع الآخرين؛ لأن الهدف المرجـو هو الاستفادة وتبليغ الـعلم. قال الإمام النووي: (إن اجتـماعنا ينبـغي أن يكون لله -تعالى- فـلا يليق بنا المنافسـة والمشاحنة؛ بل شـأننا الرفق والصفاء واستفادة بعضنا من بعض)[1] .

كمـا كان يذكِّر أبـو يوسف -صاحب أبي حنيفـة- جلساءه ومـحاوريه أن يكون هدفـهم من وراء الحوار وجـه الله -تعـالى- لا التعـالي والتـفاخـر على الآخرين فكان يـقول: (يا قوم أريدوا بعلمـكم الله فإني لم أجلس مجـلسًا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أعلوهم إلاّ لم أقم حتى أفتضح).[2].

هكذا كـانت أخلاق علمـائنا القدمـاء، فلم يكن أحدهم يحـاور أو يتكلم بالكلمة ليظهر أنه العـالم المتفقه على غيره، بل كان هـدفهم الأسمى هو إظهار الحق وتبليـغ العلم، ومـا نراه في مـجـالسنا اليـوم عـكس ذلك؛ إذ يتـسـابق المتحاورون إلى الحديث أو الكلام في مسـألة؛ بل إن البعض لا يحب أن يسبقه أحد إلى القـول في موضوع ما؛ ليظهـر أنه عَلَمٌ محيط بكثيـر من الأمور وهذا يدل على مـرض في القـلب وهو حب الظهـور والاسـتـعـلاء والتـعـالم على الآخرين؛ لـذلك فقد وجـه النبي ﷺ إلى إيقـاف الحوار إذا تحـول إلى مراء وجدل فارغ المحتوى؛ ليس الهدف من ورائه إلا المماراة والسمعة وحب الظهور.

---

(١) النووي: المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

فـقـال: «**أنا زَعـيمٌ**[١] **بـبيـت في رَبضِ**[٢] **الجنة لمـن ترك المراء ولو كـان محـقًّا**»[٣]، فجعل هذا الأجر العظيم لمن ترك المراء في الحوار؛ لأن الإسلام يريد من المسلم أن يكون صافي النفس، بعيدًا عن الرياء، والسمعة، وحب الظهور، وهذا لا يكون إلا بإخـلاص النية لله -تعـالى- قبل البـدء بأي عمـل، والحوار كغيره من الأعمال، التي يؤجر الإنسان عليها، إذا أخلص النية لله -تعالى- وقد يتحول الحوار إلى إثم، إذا تحول إلى مجرد مماراة وجدل، قال رسول الله ﷺ : «**ماضَلَّ قومٌ بعد هدى إلاَّ أوتوا الجدل**»[٤] .

وقال أيضًا: «**من طَلَبَ العلمَ ليُجَاري به العلماء، أو ليُمَاري به السفهاء، أو يصرفَ به وجوه الناسِ إليه، أدخلهُ الله النارَ**»[٥]. فإخلاص النية لله -تعالى- أمر مطلوب عند أي حوار ليكون العمل مقبـولاً عند الله -تعالى- وقد ذكر العلماء علامـات إخلاص النيّة وهي ثلاث: استـواء المدح، والذم من العامة، ونسـيان رؤية الأجر في الأعمال في الدنيا، واقتضاء ثواب الأعمال في الآخرة.

قال -تعالى-: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾(البينة: ٥).

وقال أيضًا: ﴿**وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ**﴾(الليل: ١٩، ٢٠، ٢١).

❁❁❁

(١) زعيم: ضامن، ابن الأثير: النهاية، ج٢، ص٣٠٣ .

(٢) الربض: أساس البناء وقيل وسطه، والمقصود ما حولها، والمصدر السابق.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار ابن حيان، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ج١٦، ص٥٦٧ .

(٤) الترمذي: كتاب التفسير، رقم ٣١٧٦ .

(٥) رواه الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله، رقم ٢٥٧٨ .

■ المبحث الثاني ■

• العلم •

« فإن أردت أن تتحرك في الحيـاة حركة سليمة مُجدية ، وحركـة مساندة غير متناقضة فلا تقف ما ليس لك به علم »

الشيخ الشعراوي

رحمه الله

لا تتكلمي فيما لا تعلمين، وهذا الأدب علمنا إياه القرآن الكريم في قوله -تعالى-: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(الإسراء: ٣٦).

والقفو هو: الاتباع، فيقال: قفاه يقفوه إذا اتبعه[١].

وقد فسر ابن عباس قوله -تعالى- «لا تقف» بـ«لا تقل»، وقال قتادة: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع وعلمت ،ولم تعلم[٢].

ومضمون الآية الكريمة النهي عن القول بلا علم، وهذه الآية الكريمة تقيم منهجًا كاملاً للقلب، والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثًا، ويضيف إليه استقامة القلب، ومراقبة الله -تعالى- والتثبت من كل خبر قبل الحكم عليه- دعوة القرآن الكريم ومنهجه- فمتى استقام القلب، والعقل لم يبق مجال للوهم والخرافة، ولم يبق مجال للظن، والشبهة، والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العلم الحديث، ليست سوى طرفًا من الأمانة العقلية، والقلبية التي يعلن عنها القرآن الكريم، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه، وبصره، وفؤاده[٣].

قال ابن عاشور[٤]: (هذا أدب خلقي عظيم، وهو أيضًا إصلاح عقلي جليل يعلِّم الأمة التفرقة بين الخواطر العقلية؛ بحيث لا يختلط عندها المعلوم والمظنون والموهوم، ثم هو اصلاح اجتماعي جليل، يجنب الأمة من الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جراء الاستناد إلى أدلة موهومة).

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت، ج٧، ص١٠٠
(٢) الماوردي، علي بن محمد: النكت والعيون، تفسير الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٣، ص٢٤٣.
(٣) سيد قطب: الظلال، ج٤، ص ٢٢٢٧.
(٤) التحرير والتنوير: ج٧، ص١٠٠.

فينبغي يا أختي أن تتحرزي عن الكلام في موضوع ليس لك به علم، أو دراية، ومن الأدب أن تقولي: لا أدري إذا طُلب منك المحاورة في أمر ليس لك به علم، فكثيرًا ما يقع البعض في الكلام في أمور لا يعلمونها ظنًّا منهم أنهم يعرفون كل شيء . قال ابن المبارك: (لا يزال المرء عالمًا ما طَلَب العِلمَ، فإذا ظن أنه قد عَلِمَ فقد جَهِلْ)[١] .

وقال الشيخ الشعرواي[٢]: (قضايا الحياة تنقسم إلى قسمين:

قضايا تختلف فيها الأهواء، وقضايا تتفق فيها الأهواء؛ فالقضايا التي تختلف فيها الأهواء هي: القضية التي يخدم بها كل قائل لها فكرة عنده فقط؛ وإن كانت ضارة بغيره، فما دام الأمر قائمًا على الأهواء؛ فلابد أن تختلف فكل له هواه الخاص، فلو أنَّ لكل واحد قضية لما التقينا على شيء أبدًا.

المخرج: أن يخرج كل منا من هوى نفسه أولاً، ونرد القضية التي اختلفت فيها أهواؤنا إلى من لا هوى له، والله -سبحانه وتعالى- هو الذي لا هوى له. . . فإن أردت أن تتحرك في الحياة حركة سليمة مجدية، وحركة مسَاندة غير متناقضة، فلا تقف ما ليس لك به علم، لكي تسير حركة الحياة على هدى وبصيرة).

لقد كان علماؤنا لا يجدون حرجًا في أن يقولوا: لا ندري، إذا عرضت عليهم مسألة ليس لديهم اطلاع عليها، وكانوا يوصون بأن يورث العالم أصحابه لا أدري، بمعنى أن يكثر منها؛ لأن قول العالم لا أدري لا يضع من منزلته؛ بل هو دليل على عظم محله، وتقواه، وكمال معرفته؛ لأنَّ المتمكن لا يضره عدم

(١) الشامي، صالح أحمد: المهذب من إحياء علوم الدين، دار القلم، دمشق، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ج١ ص٦٩ .

(٢) تفسير الشعراوي، ج١٤، ص ٨٥٣٤ .

معرفته مسائل معدودة بل يُستدل بقوله لا أدري على تقواه، وأنَّه لا يجازف في فتواه، وإنما يمتنع من لا أدري مَنْ قل علمه، وقَصُرتْ معرفته وضَعُفَتْ تقواه؛ لأنه يَخاف لقصوره أن يسقُط من أعين الحاضرين؛ وهو جهالة منه، فإقدامه على الجواب فيما لا يعلم يبوء بالإثم العظيم، ولا يرفعه ذلك عن القصور[١].

لذلك فقد وجَّه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- إلى قول: لا أعلم، وعدم تكلم المرء بما ليس له به علم، قال ابن مسعود ﷺ : (يأيُّها النَّاس مَنْ عَلِمَ شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم)[٢]، وقد قال الله -تعالى- لنبيه ﷺ : ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾(ص:٨٦).

والتكلف هو: التصنع، والقول على الله بما ليس له به علم، وقد روي في الصحيحين: (بينما رجل يتحدث في المسجد قال فيما يقول: ﴿**يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ**﴾(الدخان: ١٠)، قال: دخان يكون يوم القيامة يأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام، قال: قمنا حتى دخلنا على عبد الله، وهو في بيته، وكان متكئًا فاستوى قاعدًا فقال: أيُّها النَّاس مَنْ عَلِم مِنْكُم علمًا فليقُل به، ومَنْ لمْ يعلَم فليقُل: الله أعلم فإن العلم، أنْ يقول العالم لما لا يعلم: الله أعلم، قال الله -تعالى- لرسوله ﷺ : ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾(ص:٨٦)، والمقصود أنَّ الرسول ﷺ ليس من المتصنعين بما ليس من أهله؛ حتى ينتحل النبوة، أو يتقول على الله ما لم يعلم[٣].

---

(١) النووي: المجموع، ج١، ص٦٣ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) القنوجي، صديق بن حسن بن علي البخاري : فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ /-١٩٩٢م، ج١٢، ص٧٣ .

وهكذا كان الصحابة -رضوان الله عليهم- لا يجيبون على مسألة لا يعرفونها منعًا للخوض فيما ليس لهم به علم، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يُسأل عن عشر مسائل، وكان يجيب عن واحدة، ويسكت عن تسعة[1]، وكذلك كان فقهاؤنا القدماء، فقد كان شعارهم لا أدري إذا عرض عليهم أمر لا يعلمونه.

فقد روي أن الإمام مالك -رحمه الله- كان يقول: (جُنة العالم لا أدري، إذا أغفلها أصيبت مقالته). وكان يقول: (ينبغي أن يورث العالم جلساءه لا أدري؛ حتى يكون أصلاً لديهم يفزعون إليه، فإذا سُئل عما لا يدري قال: لا أدري).

وكان يرى أن الجدال، والمراء في أمور ليس للمرء بها علم تذهب بنور العلم من قلب المسلم. فقال: (الجدال، والمراء في العلم، يذهب بنور العلم من قلب العبد)[2].

وقد علمنا القرآن الكريم أنَّ فوق كل ذي علم عَليم ، وأنَّ المرء مهما أوتي من علم فإن هذا العلم يبقى ضئيلاً قليلاً أمام علم الله -تعالى- قال -تعالى-: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(الإسراء: ٨٥).

وقد عَلِمنا ذلك من خلال قصة موسى -عليه السلام- مع العبد الصالح الواردة في سورة الكهف، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه أن موسى -عليه السلام- قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أي النَّاس أعلم؟. فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يردَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أنَّ عبدًا من عبادي

(١) الشامي: المهذب من الإحياء، ج١، ص ٦٩ .

(٢) الدقر، عبد الغني: سلسلة أعلام المسلمين: الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، دار التعليم، دمشق، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص٢٤٠ .

بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: يا رب وكيف به؟. فقيل له: احمل حوتًا في مكتل[١]، فإذا فقدته فهو ثمَّ، فانطلق، وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملا حوتًا في مكتل، حتى كانا عند الصخرة، وضعا رؤوسهما وناما، فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سربًا، وكان لموسى وفتاه عجبًا، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما.

فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا، ولم يجد موسى من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به، فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، قال موسى: ﴿**ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجلٌ مُسجًّى بثوب -أو قال: تسجى بثوبه- فسلم موسى فقال الخضر: وأنَّى بأرضِكَ السلامُ؟[٢].

فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟. قال: نعم، قال: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾، قال: ﴿**إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾، يا موسى إني على علم من علم الله علمَنِيه لا تعلمه أنت، وأنتَ على علم علمته لا أعلمه، قال: ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة، فمرَّت بهما سفينة فكلموهم أن يَحملوهما، فعُرف الخضر فحملوهما بغير نَوْل، فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرةً أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلاّ كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسى: قومٌ حملونا بغير نَوْل عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها. قال: ﴿**أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾،

(١) المكتل: هو الزنبيل، وعاء يُحمل به، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: «كتل».

(٢) ابن حجر: فتح الباري، ج٨، ص٢٦٢، حديث (٤٧٢٥).

قال: ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، فكانت الأولى من موسى نسيانًا، فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخـذ الخضر رأسه من أعلاه فاقتلع رأسـه بيده، فقال موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾. قال: ﴿أَلَمْ أَقُل لكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾، (قال ابن عـيينة: وهذا أوكـد) فانطلقـا حتى إذا أتيـا أهل قرية استطعما أهـلها فأبوا أن يضيِّفوهمـا فوجدا فيها جداراً يريد أن ينـقض فأقامه، وقام الخضر بيده فأقـامه، فقال موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾، قال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

قال النبي ﷺ: «**يرحم الله موسى لـوددنا لو صبر حـتى يقص علينا من أمرهما**»، ويلاحظ مما سبق أن موسى -عليه السـلام- خرج في طلب الخضر؛ ليـتـعلم منـه أمـورًا لأنه أعلم منه، إلاَّ أن الخـضـر لا يعلم كـل شيء؛ بدليل قوله: (يا مـوسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعـلمه أنت، وأنت على علم علمته لا أعلمه)، ولو كان يعـرف كل شيء؛ لعرف موسى قبل أن يسأله، لكن السـياق يوضح أنه لم يكن يعـرف موسى -عليه الـسلام- ويلاحظ أدب موسى -عليـه السلام – في طلبه أن يتـعلم منه إذ قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾. قال الأستاذ سيد قطب:[١]

(بهذا الأدب اللائـق بنبي، يستفـهم ولا يجزم، ويطلب العلـم الراشد من العبـد الصالح العـالم، كمـا يلاحظ أدبه الجم في اعتـذاره للعبد الـصالح عن محاورته إياه فيما ليس له به علم).

﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾(الكهف:٧٣).

فلم تكن تلك المحاوره إلاَّ بسبب النسيان؛ لذلك يطلب منه أن يقبل عذره، ولا يرهقه بالمراجـعة والتذكـير، وفي المرة الثانيـة لم يكن ناسيًا؛ ولكنه راجـعه

(١) في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢٢٧٩ .

وحاوره في فعله؛ لأنَّه استفظع الأمـر، فلمْ يصبر على السكوت، ولكن بعد أن ذكَّره العبد الصالح بما قطعـه من وعد بألاَّ يسأله عن شيء حتى يكلمه هو عنه، أعطى موسى -عليـه السلام- لنفسه الفـرصة الأخيرة، وقـال: «إن سألتك عن شيء فلا تصـاحبني قـد بلغت من لدني عذراً »، وعندمـا خالف الوعـد للمرة الأخيـرة قال له العبـد الصالح: ﴿**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾(الكهف:٧٨)، فأطلعه على الحكمـة من وراء فعله، وعلَّمه أن علمه قاصر، فهناك أمور وراءها الكثير من الأسرار لا يكشفها الله عز وجل إلاَّ بمقدار[١] ، والقصة السابقة تعلمنا أموراً كثيرة في أصول الحوار منها:

١- ينبغي على المرء ألاَّ يحاور فيما ليس له به علم.

٢- أن يعلم الإنسان أنَّه مهمَا بلغ من العلم فهناك من هو أعلم منه؛ لذلك ليس من العيب أنْ يقول المرء: لا أعلم، إذا عُرِض عليه ما لا يعرفه.

٣- يظهر أدب الحوار بين مـوسى -عليه السلام- والعبد الصـالح في مجال الاختلاف في الرأي فلكل منهـما طريقته الخاصـة في فهم الأمور، ومع ذلك فإن كـلاً منهمـا يقبل رأي الآخـر باحتـرام، ففي كل مـرة كان موسى -عـليه السلام- يعتذر للعبد الصالح؛ لتسرعه واعـتراضه عليه فيما يفعله من أمور ليس له علم بها.

٤- يظهر أدب الحوار من المعلِّم إلى المتُعَلم؛ حيث احترم العبد الصالح رأي موسى -عليه السلام- والتـمس له العذر في عدم صبره معه واعـتراضه عليه؛ لأنه يعلم أن لكل منهما منهجه الخاص لذلك قال له: ﴿ **وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً**﴾.

---

(١) في ظلال القران ، ج٤، ص(٢٢٧٩).

٥- كما يظهر أدب المعلِّم مع المتُعَلم في أن العبد الصالح قال لموسى -عليه السلام-: (وما فعلته عن أمري). فهو ينفي عن نفسه الغرور بالعلم والاستعلاء على صاحبه ،ويخبره بأنَّ ما حدث كان بأمر من الله-تعالى- وأن ما علَّمه إياه ليس ميزة له عليه .

٦- يظهر أدب الصحبة في الحوار، فلا يجوز بعد المصاحبة الافتراق على الخلاف، فلابد للمتحاورين الافتراق على وفاق ورضا؛ لأن الافتراق على الخلاف، ينمي الفجوة، والقطيعة، فلابد من توضيح الأمور، حتى تصفو النفوس وترضى[1] .

❁❁❁

(١) أشار إلى بعض هذه الآداب الشيخ الشعراوي في تفسيره، ج١٤، ص ٨٩٥٨ - ٨٩٧٤ .

■المبحث الثالث■

●الحجة والبرهان●

قال تعالى:

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾

[آل عمران: ٦٦]

الحجـة، والبرهان، والدليل أمور مطلوبة منك عند طـرح أي قضية علمـية للحـوار، ولابد أن يكون ذلك مبني على أسـاس علمي، وهذا من أهم مـبادئ الحوار، وأصوله، فقد طلب الله -تعـالى- من أهل الكتاب أن يطرحوا أدلتهم، وبراهينهم عند مـحاورتهم للنبي ﷺ ، وأن تكون تلك الأدلة، مـستندة على أساس علمي قـوي قال -تعالى-: ﴿**يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(آل عمران: ٦٦: ٦٧).

ففي الآيات الكريمة عاب الله -تعالى- على أهل الكتاب مـحاجتهم النبي ﷺ ومحاورتهم إياه في مِلّة إبراهيم -عليه السلام- فقد ادعوا أنه كان يهوديًا أو نصرانيًّا، فبين لهم الله -تعالى- أن ادعـاءهم هذا؛ ادعاء باطل لا يستند إلى حجـة، ولا إلى دليل علمي ثابت، فإبراهيم -عليـه السلام- كان موجـودًا قبل نزول التوراة على موسى -عليه السلام- وقـبل نزول الإنجيل على عيسى -عليه السلام- فكيف يمكن أن يكون يهوديًا، أو نصرانيًّا قبل نزول الديانتين؟.

لذلك فقد نعـتهم بعدم العقـلانية في المحاجة، والمحـاورة وقال لهم : أفلا تعـقلون؟، وهذا الأسلوب اتبعـه القرآن الكريم مع أهل الكـتاب في أكثـر من موضع، فقـد طلب منهم الإثبات، وإقامة الدليل علـى كل ادِّعاء يدعونه، وإلاَّ فإن دعواهم تكون باطلة غـير مقبولة عند الطرف المحـاجج لهم، قال-تعالى-: ﴿**وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾(البقرة: ٨٠).

وفي موضع آخر قال -تعالى-: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة: ١١١)، وقال -تعالى-:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(التوبة: ٣٠).

فإذا أردت أختي أن تحاوري في موضوع ما، فليكن الدليل مدعمًا لوجهة نظرك التي تطرحينها لأنَّ ذلك يُعطي فكرتك القوة، والقبول عند الآخرين، واحرصي على إيراد الحجج التي يتطلبها الموضوع المطروح، ولا تكثري من إيراد الحجج مخافة السآمة، أو الملل من الطرف الآخر المحاور، فأحيانًا يكفي طرح السؤال المناسب في الوقت المناسب؛ ليكون ردًّا على حجة غيرك، وهذا ما طلبه الله -تعالى- من النَّبي ﷺ في رده على اليهود والنصارى عندما ادَّعوا أنَّهم أبناء الله وأحباؤه، قال -تعالى-:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(المائدة: ١٨).

وهنا طلب الله -تعالى- من نبيه الكريم طرح السؤال على ادَّعائهم؛ ليكون ناقضًا لتلك الدعوى التي لم تقم على دليل علمي ثابت، فقد ادَّعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه لذلك فإن الله -تعالى- لن يعذبهم -حسب ادَّعائهم- ولن تمسهم النار إلاَّ أيامًا معدودة كما ورد في آيات أخرى، فجاء الرد الحاسم على تلك الدعوى بكلمات قليلة؛ وهي سؤالهم عن أمر لم يستطيعوا الرد عليه:

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾. فقـرر الله -تعالى- في هذه الآية الكريمة حـقيـقة، وهي بطلان دعوى النـبوة التي ادعوها، وبطلان دعـوى اصطفائهم في الحـياة، فالله -تعـالى- يعذب من يسـتحق العـذاب على ذنب اقتـرفه، ويعـفو عن من استغفر، وتاب من الذنب، فالمغفرة، والعذاب لا يقومان على أساس النبوة، أو العلاقات الشخصية كما يدعون[1] .

وقد ذكر لنا القرآن الكريم نموذجًا آخر من الحوار القائم على الحجة والبرهان وهو الحوار الذي دار بين إبراهيم -عـليه السلام- والملك الذي عـاش في أيامه، ومـدار هذا الحوار هو وحـدانيـة الله، قال -تعـالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(البقرة: ٢٥٨).

لقد حاور هذا الملك إبراهيم -عليه السلام- وحاججه في ربه، وقد ذكر الله -تعالى- سبب تلك المحاجة أو الحوار: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ فالسبب هو تلك النعمـة وذلك المُلك الذي أعطاه الله -تعـالى- لهذا المَلِك، فبـدلاً من أن يشكر نعمـة الله -تعالى- على عطائه، عـتى، واستكبـر، وادعى لنفسـه الألوهية مع الله، وهنا جاءت حـجة إبراهيم -عليه السلام- فـذكره بمسألة الإحيـاء والإماتة وهي مسـألة خاصة بالله -تعـالى- لا يشاركه فـيها أحـد، قال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، فالله -تعـالى- وحده هو الذي ينشئ الخلق وهو الذي يفنيـه، إلاَّ أن هذا الملك أجاب على تـلك الحجـة بأنَّه هو أيضًا قـادر على ذلك الفعل بصـفته متـصرفًا في شؤون الناس، فـيمكن أن يأمر بقتل شـخص فذلك

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج١، ص ٤٠٥ .

إماتة له، كما يمكنه أن يعفو عنه وذلك إحياء له، ولكن إبراهيم -عليه السلام- لم يُرد أن يتابع حواره في تلك المسألة بالذات؛ لأن مفهوم الإحياء ،والإماتة عند إبراهيم -عليه السلام- لا يلتقي مع المفهوم الذي طرحه ذلك الملك، لذلك فقد انتقل إلى دليل آخر وبرهان آخر يحاججه فيه، فتحداه بحقيقة كونية ظاهرة يراها كل إنسان يوميًّا، وهي مسألة شروق الشمس وغروبها، فطلب منه أنْ يغير الناموس الذي جعله الله لهذا الكون فيأتي بالشمس من المغرب بدلاً من المشرق ليكون ذلك دليلاً على قدرته،إلاَّ أن ذلك الملك عجز عن الرد عليه، وأعيته الحجة فبهت ولم يتكلم.

والمتتبع لسيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام يلاحظ الأهمية الكبرى لإقامة الحُجة والبرهان عند الحوار، فعندما هاجر المسلمون إلى الحبشة فارين بدينهم، عمدت قريش إلى رجلين فصيحين عُرفا بالحجة، والمنطق، وإقامة الدليل عند الحوار، فطلبت قريش من عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة -قبل أنْ يُسلما- الذهاب إلى الحبشة لإعادة من أسلم إلى مكة، وأرسلوا معهما الهدايا للنجاشي ولبطارقته، وعندما دخلا على النجاشي قالا له: (أيَّها الملكْ: إنه قد ضَوَى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دينهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرهم؛ لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه).

عندها لاقى حديث عمرو بن العاص، ورفيقه استحسانًا عند البطارقة الذين طلبوا بدورهم من النجاشي أن يرد المسلمين إلى موطنهم، إلاَّ أنَّ النجاشي لم يشأ أن يستمع إلى طرف واحد، فعزم على سماع أدلة المسلمين، وحججهم فأرسل إليهم، وسألهم قائلاً: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم

تدخلوا في ديني، ولا دين أحد من هذه الملل؟ عندها اختار المسلمون جعفر ابن أبي طالب ليتكلم عنهم وكان صاحب حجة وبرهان في القول، فقال: كنَّا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منَّا القوي الضعيف، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا لنعبد الله وحده... ثم عدد المناقب التي دعا إليها الإسلام، وختم كلامه بقوله: فلمَّا قهرونا -يعني قريشًا- وظلمونا وضيَّقوا علينا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألاَّ نظلم عندك أيها الملك.

ثم طلب منهم النجاشي أنْ يقرؤوا عليه شيئًا مما جاءهم من الله -تعالى- فاختار جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليه شيئًا من سورة مريم؛ وذلك كسبًا للود وتقريبًا لوجهات النظر فقرأ: (كهيعص)، فبكى النجاشي، وبكى الأساقفة معه، فقال النجاشي: (إن هذا والذي جاء به عيسى ليخْرُجُ من مشكاة واحدة)، وامتنع عن تسليم المسلمين لقريش، وعندها فكر عمرو بن العاص في إيراد حجج، وأدلة أخرى أمام النجاشي؛ ليدين بها المسلمين، ويجعل النجاشي يُخْرجهم من أرضه فجاءه في اليوم التالي وقال له: أيَّها المَلِك! إنهم يقولون في عيسى بن مريم: قولاً عظيمًا، فأرسل إليهم النجاشي، وسألهم عن قولهم في المسيح، ففزعوا، ولكنهم عزموا على الصدق، فلما دخلوا عليه، وسألهم، قال له جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فقال النجاشي: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت، ثم أعطى المسلمين الأمان في بلاد الحبشة[1] .

انظري أختي إلى أهمية الحجة، والبرهان، وأثرهما في إقناع الطرف

(١) المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، دار المؤيد، الرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٩٤ - ٩٦ .

المحاور، فلو لم تكن عند جعفر بن أبي طالب تلك المَلَكة، لما تمكن من إقناع النجاشي بما فعلته قريش بهم لاعتناقهم الدين الجديد، إضافة إلى طريقته في توصيل مبادئ الدين الجديد، وكيفية طرحه لعقيدة المسلمين حول المسيح ابن مريم، وأمه، مما جعل النجاشي يتحاشى ما قاله عمرو بن العاص ﵁، ورفيقه، ويؤمن بما قاله جعفر بن أبي طالب.

❁❁❁



الفصل الثاني

آداب الحوار

المبحث الأول: الحوار بالحسنى.

المبحث الثاني: حسن اختيار العبارات .

المبحث الثالث: اللباقة والأدب.

المبحث الرابع: التواضع خفض الجناح.

المبحث الخامس : عدم الغضب .

المبحث السادس : حسن الاستماع .

■المبحث الأول■

●الحوار بالحسنى●

قال تعالى:

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾

[طه: ٤٣، ٤٤]

لقد وجه الله -تعالى- عباده إلى محاورة الآخرين، ومخاطبتهم بالحسنى فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(البقرة:٨٣)، وقد وردت هذه الآية في سياق خطاب بني إسرائيل والميثاق الذي أخذه الله -تعالى- منهم، قال -تعالى- : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾(البقرة:٨٣).

إلا أن الخطاب عام لجميع البشر، فالأديان واحدة، ودين الإسلام يصدق ما قبله من الأديان في أصولها، ويؤيد هذا الخطاب قوله -تعالى- في سورة الإسراء: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(الإسراء:٥٣).

فجاء الخطاب إلى جميع العباد، أن يختاروا الكلمة الطيبة عند مخاطبتهم للآخرين، فالشيطان ينزغ بين العباد، وباختيار الكلمة الطيبة، والقول الحسن يمكن للإنسان أن يتقي شر الشيطان الذي من شأنه أن يفسد ما بين العباد من مودة، وألفة، فالشيطان يستغل الكلمة الخبيثة السيئة، التي تفلت من الإنسان، كما يستغل الرد السيئ الذي يأتي عليها، فيصبح جو المحبة، والود، والوفاق مشوب بالخلاف، ثم الجفوة ثم العداء فينأى بعيدًا بالكلمة السيئة عن جو الحوار؛ لأن من شأنها أن تورث العداء والبغضاء بين المتحاورين، وتفسد الجو الأخوي، الذي ينبغي أن يسود أي حوار بين الإخوة في الإيمان، أو أي أطراف أخرى، مهما كانت ديانتهم أو معتقداتهم، فالكلمة الطيبة تسد الثغرات، وتقطع الطريق على الشيطان، وتحفظ حُرُم العلاقات بين الناس آمنًا من نزعات الشيطان ونفثاته[1] .

(١) سيد قطب، الظلال، ج٤، ص٢٢٣٤ .

قال الشيخ الشعراوي[١]: (الأحسن تَشيع لتشمل كل حسن في أي مجال من مجالات الأقوال، أو الأفعال، لنأخذ مثلاً مجال الجدال، وخاصةً إذا كان في سبيل إعلاء كلمة الله، فلاشك أنَّ المعارض كاره لمبدئك العام، فإن قسوت عليه، وأغلظت له القول، أو اخترت العبارة السيئة، فسوف ينتقل الخلاف بينكما في المبدأ إلى عداء شخصي، وإذا تحولت هذه المسألة إلى قضية شخصية، فقد أججت أُوَار غضبه؛ لأنَّه في حاجة لأن ترفق به، فلا تجمع عليه مرارة أن تخرجه مما أَلِفَ إلى ما يكره؛ بل حاول أن تخرجه مما ألف إلى ما يحب؛ لتطفئ شراسته لعدواتك العامة، وتقرب من الهُوة بينك، وبينه فيقبل منك ما تقول... لكن لماذا نقول التي هي أحسن؟. لأن الشيطان ينزغ بينكم، والنزغ هو: نخس الشيطان ووسوسته... فكن منتبهًا عارفًا بحيله... فلا تعطي الشيطان فرصة لأن يؤجج العداوة الشخصية بينكما فيزين لك شتمه أو لعنه وهكذا يتحول الخلاف من المبدأ العام إلى العدواة الشخصية).

وقد أكد علماء الاجتماع على أهمية الكلمة، وحسن اختيارها، فقالوا: إن اللسان هو قلم القلب، ورسول العقل، فإذا كان القلم أقوى من السيف فإن الكلمة المنطوقة أقوى من كليهما، فالكلمة يمكن أن تشفي الجراح، وفي نفس الوقت هي القادرة عل جرح الآخرين، فقد تكون مصدرًا من مصادر السعادة إذا حسن اختيارها[٢].

وقد ضرب القرآن الكريم مثلاً حول أثر الكلمة الطيبة على النفس الإنسانية والمجتمع ككل، وأثر الكلمة الخبيثة المدمر للعلاقات والألفة والمحبة التي ينبغي أن تسود بين أفراد المجتمع فقال: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**

(١) تفسير الشعراوي، ج١٤، ص(٨٦١١).
(٢) الأقصري، يوسف : اكتشف قدراتك(٢)، دار اللطائف، ص٢٤.

وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾(إبراهيم:٢٤،٢٥،٢٦).

فهذا المثل الذي ضربه الله -تعالى- يمثل واقع الحياة، فالكلمة الطيبة أصيلة باقية، وهي مثمرة لا ينقطع ثمرها؛ لأن بذورها تنبت في النفوس، بينما الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة التي تطل جذورها في التربة، وتكون قريبة على وجه الأرض، وسرعان ما تجتث من فوق الأرض، فليس لها بقاء ولا قرار[١].

فالقول الحسن مطلوب في الحوار؛ لكي يكون مجديًا، ولئلا يخلف وراءه ضغينة القلوب ونفورها، لذلك فقد نبه النبي ﷺ إلى قيمة الكلمة، وإلى ضرورة توجيهها إلى الخير فقال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»[٢]، ووجه إلى ثواب القول الحسن بقوله: «**الكلمة الطيبة صدقة**»[٣]، وهذا الأمر لا ينطبق على حوار المسلمين مع بعضهم البعض فقط؛ بل على الحوار مع جميع الناس بكافة دياناتهم، ومعتقداتهم فقد وجه الله -تعالى- موسى وهارون عليهما السلام إلى القول اللين، في خطابهما مع فرعون فقال: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(طه:٤٣:٤٤).

فالرفق، واللين مطلوبان في الحوار؛ لكي يكون أثره في النفس أكبر ولئلا ينتج عنه ضغينة في القلوب وتنافر والقول اللين لا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء، ومن شأنه أن يوقظ القلوب الغافلة، فتتذكر عاقبة الطغيان، كما أنّه له

---

(١) سيد قطب، الظلال، ج٤، ص٢٢٣٤ .

(٢) رواه أحمد: المسند، باقي مسند المكثرين، ٨٥٦٧، ومالك: الموطأ، رقم ١٥٦٣ .

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب .

وقع على النفس؛ إذ يمكن أن تتذكـر أو تخشى[1] قال القرطبي[2]: (فإذا كان موسى أمر بأن يقـول لفرعون قولاً لينًا، فَمَنْ دونه أحـرى بأن يقتدي بذلك في خطابه وأمره بالمعروف).

وقـد ضرب لنا النـبي ﷺ أروع الأمثلة، في حـواره بالحـسنى، واللين، والرفق، فقـد روي أن فتى من قـريش أتى النبي ﷺ فقـال: يا رسول الله: ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فـقالوا: مه مه، فقال رسول الله ﷺ : «ادنه، فدنا منه قريبًا، فجلس:

قال: **«أتحبه لأمك؟»**.

قال: لا والله! جعلني فداءك.

قال: **«ولا النَّاس يحبونه لأمهاتهم»**.

قال: **«أفتحبه لابنتك؟»** .

قال: لا والله! يا رسول الله، جعلني فداءك.

قال: **«ولا النَّاس يحبونه لبناتهم»**.

قال: **«أفتحبه لأختك؟»**.

قال: لا والله! جعلني فداءك.

قال: **«ولا الناس يحبونه لأخواتهم»**.

قال: **«أفتحبه لعمتك؟»**.

---

(١) سيد قطب: الظلال، ج٤، ص٢٣٣٦ .

(٢) القرطبي: أحكام القرآن، ج١١، ص٢٠٠ .

قال: لا والله! جعلني فداءك.

قال: **«ولا الناس يحبونه لعماتهم»**.

قال: **«أفتحبه لخالتك؟»**.

قال: لا والله! جعلني فداءك.

قال: **«ولا الناس يحبونه لخالاتهم»**.

قال: فوضع يده عليه، وقال: **«اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه»**.

قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[١] .

لقد كانت صراحة هذ الشاب في التعبير عن نوازعه، أمرًا غريبًا أثار الجالسين عليه، إلاَّ أن النبي ﷺ قابله بالرفق، واللين، والحوار الهادئ والمنطق المقنع، وأنهى حواره معه بلمسة حنان على صدر الفتى المتوقد، ومع اللمسة دعوات خالصة لله -تعالى- أن يغفر للفتى ويطهره ويحصن فرجه، فإذا به يخرج من مجلس رسول الله ﷺ وكأنما كان هذا اللقاء بردًا وسلامًا عليه[٢].

وروى معاوية بن الحكم السلَّمي ﷺ: (بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم! فقلت: واثكل أُمِّياه! ما شأنكم تنظرون إلي؟. فجعلوا يضربون بأيديهم على

(١) الهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، كتاب العلم، ص١٣٤ .

(٢) البقعاوي، صالح المطلق: مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي، ط، ١٤٢هـ، ص١٤٤ نقلاً عن القرضاوي: الرسول والعلم، ص١٢٣ .

أفخادهم! فلما رأيتهم يُصَمِّتونني لكني سكت، فلما صلى الرسول ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»)[1].

لذلك فقد وجه النبي ﷺ إلى الرفق في كل الأمور فقال:

« **من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم من الخير**»[2].

وقال الشاعر:

لم أر مثل الرفق في أمره ... أخرج العذراء من خدرها

من يستعن بالرفق في أمره ... قد يخرج الحية من جحرها

❁❁❁

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥٣٧، والكَهْرُ: الانتهار، ينظر: مختار الصحاح.

(٢) الترمذي: كتاب البر والصلة، رقم ١٩٣٦.

■المبحث الثاني■

● حسن اختيار العبارات●

قال تعالى:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

[يوسف :٣٩]

لقد وجهنا القرآن الكريم إلى القول الحسن في الحوار، ومن حسن الخلق تخير العبارات التي تدل على الأدب مع الطرف الآخر، واحترامه وتقديره، فكلما كنت يا أختي مظهرة للاحترام والتقدير للطرف الآخر؛ كان سير الحوار ناجحًا، وصحيحًا، وقد علمنا القرآن الكريم هذا الأدب من خلال نماذج عديدة للحوار وردت فيه، فقد علمنا أدب الحوار مع الوالد بتخير العبارات المهذبة التي تدل على الاحترام والشفقة مع الوالد، فقد حاور إبراهيم والده بأدب جم، وخلق رفيع مع أنه كان على ملّة الكفر، قال الزمخشري[1]: (لقد رتب الكلام معه، في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة، واللطف، والرفق، واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن). فاختار عبارات مهذبة تدل على الشفقة التي يكنها لوالده وخوفه عليه من المصير السيئ إذا أصر على الكفر، والعناد فقال: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾(مريم: ٤٢).

فبهذا النداء المتلطف الحنون نادى والده، وبأدب واحترام علل السبب الذي جعله يتخطى الحواجز ويعظ والده مع أنه الابن وهو الوالد، فقال: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾(مريم: ٤٣).

فأخبره أنَّه لم يقل ذلك من تلقاء نفسه، وإنما هو العلم الذي جاءه من الله -تعالى- فمنَّ عليه بالهداية، والإيمان، فليست هناك غضاضة في أن يتبع الوالد الولد إذا كان هناك اتصال بمصدر أعلى، فهذا المدد العلوي، هو الذي جعله يعرف ويفقه الحق؛ وبالتالي يدعو والده إلى اتباعه[2] ويلاحظ أدبه الجم مع

(١) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج٤، ص٢٢ .

(٢) سيد قطب: الظلال، ج٤، ص٢٣١٠ .

والده في حواره أنه لم يصف والده بالجهل المفرط، ولم يصف نفسه بالعلم الفائق، وإنما أخبره أنَّ معه شيئًا من العلم ،ليس مع والده[١]، ثم بين له بعبارات رقيقة حانية أنه مشفق عليه من المصير الذي سيؤول إليه إن استمر على الشرك فقال: ﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾(مريم:٤٤:٤٥).

فهو هنا يخوف والده من سوء العاقبه ولكنَّ أسلوبه لم يخل من حسن الأدب حيث لم يصرح بأنَّ العقاب لاحق به، أو أنَّ العذاب لاحق به، ولكنه أشار إلى خوفه عليه من العذاب، فذكر المسَّ والخوَف، ونكر العذاب، وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه، وأوليائه أكبر من العذاب، كما أنَّه صدَّر كل نصيحة من نصائحه الأربع لوالده بقوله: يا أبتِ توسلاً واستعطافًا وتأدبًا مع والده[٢]، إلاّ أنَّ والده قابل القول المهذب بقساوة الألفاظ وقابل استعطافه ولطفه في الإرشاد والحوار بالفظاظة والغلظة والعناد وهدده بالرجم أو الهجران الطويل، كما أنَّه ناداه باسمه، ولم يقل له: يا بُني زيادة في التعنيف، ودليلاً على أن دعوة إبراهيم -عليه السلام- لم تصل قلبه القاسي، إلاَّ أن إبراهيم -عليه السلام- لم يغضب من قساوة ألفاظ والده، ولم يفقده ذلك الخطاب الأدب المطلوب منه في حواره مع والده فرد -عليه السلام- فقال: ﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾(مريم:٤٧).

فلا جدال، ولا مراء، ولا رد على التهديد، والوعيد، وإنما ما يمكنه فعله مع هذا الإصرار على الكفر هو أن يدعو لأبيه بالرحمة، ويرزقه الهدى.

---

(١) البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن محمد ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ج٤، ص١٨ .

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج٥، ص٨١ .

فقد عوده الله -تعالى- أن يكرمه ويستجيب دعاءه(١).

ويظهر أدب الحوار مع الوالد من خلال كلام يوسف -عليه السلام- مع والده يعقوب -عليه السلام- حين قال له: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾(يوسف: ٤).

بينما سجل لنا القرآن خروج إخوة يوسف عن الأدب، والجادة في حوارهم مع والدهم النبي حين قالوا: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾(يوسف:٩٥).

كما سطَّر لنا القرآن الكريم الحوار الحاني من الوالد مع ولده، في قول يعقوب -عليه السلام- ليوسف -عليه السلام-: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(يوسف:٥). وقال لإخوة يوسف: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾(يوسف:٨٧).

وهو ذات النداء الذي نادى به نوح -عليه السلام- ابنه وهو يحاوره، عندما طلب منه الله عز وجل أن يصنع السفينة ويركب فيها هو، ومن معه من المؤمنين، فناداه بقوله: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾(هود:٤٢).

والنداء مع حضور الشخص المخاطب، يكون من أجل استحضار الذهن من قبل الشخص المخاطب، والتصغير يكون للشفقة والتحبب، ومن هنا نلاحظ أنَّ القرآن الكريم يعلمنا حسن اختيار العبارات عند الحوار مع الآخرين، حتى إبليس! فقد سطر لنا القرآن الكريم حواره مع الله -تعالى- وإبليس في حواره أيضًا استخدم عبارات تنم أيضًا عن إيمانه بالله -تعالى- وإنما هو الكبر والحسد اللذين أعمياه وجعلاه يخرج عن الجادة ويعصي الله -تعالى-: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا

(١) سيد قطب: الظلال، ج٤، ٢٣١٢.

مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(ص: ٧٥: ٧٦).

فجاء جوابه الذي يدل على الكبر، والحسد، لذلك صدر الأمر الإلهي بطرده من رحمة الله -تعالى- ومع هذا فقد احتفظ إبليس بشيء من الأدب مع الله -تعالى- فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(ص: ٧٩).

وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(ص: ٨٢: ٨٣).

فنجد أنه استخدم عبارات: «ربِّ ، فبعزتك» في حواره مع الله -تعالى- بينما نجد اليهود لم يصلوا إلى درجة إبليس في الأدب مع الله فلم ينسبوا الله -تعالى- إليهم أثناء حوارهم مع موسى -عليه السلام- ففي أكثر من موضع في القرآن الكريم نجدهم يقولون لموسى -عليه السلام-: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ (البقرة: ٦١: ٦٨: ٧٠)، وفي قوله -تعالى-: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾(المائدة: ٢٤).

وهكذا فإنَّ القرآن الكريم يعلمنا أدب الحوار فإذا كان المحاور شخصًا ذا مركز أو علم فيستحسن، أن تذكري عبارات تنم عن الأدب، والاحترام مع الشخص المخاطب كأن تقولي: شيخي أو أستاذي أو معلمتي، وقد علمنا الأدب النبي ﷺ فقال: «**من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»[1]، وقالت عائشة رضي الله عنها: (أمرنا أن ننزل الناس منازلهم)[2].

(١) غير الغالي: غير المتجاوز الحد في العمل به، والسلطان المقسط هو العادل، والحديث رواه أبو داود في سننه، ج٤، ص (٣٦١).
(٢) المصدر السابق.

وهكذا كان سلفنا الصالح، يوقرون العلماء ويتحرون الأدب في مخاطبتهم ومجالستهم، بل كانوا يتحرون أن يأتوا بحركة يمكن أن تضايق علماءهم، فقد روي عن الإمام الشافعي أنه قال: (قدمت المدينة فرأيت مالك بن أنس من هيبته وإجلاله للعلم، فازددت لذلك أدبًا، ربما أكون في مجلسه فأريد أن أصفح الورقة- يعني أقلبها- فأصفحها صفحًا رقيقًا هيبة له لئلا يسمع وقعها)[1].

وإذا كان المحاور في نفس مرتبتك، فلا يجوز الخروج عن حدود الأدب والاحترام في الحوار، بل لابد من تخير العبارات المهذبة مع الطرف الآخر، وهذا الأدب علّمنا إياه يوسف -عليه السلام- في حواره مع الفتيين اللذين دخلا معه السجن، فقد ناداهما بنداء لطيف: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾(يوسف:٣٩).

فقد وصفهما بالصحبة الضرورية المقتضية للمودة، وبذل النصيحة، وصاحب كلمة معناها: الملازم، أو المقيم معك، وقد نسب الصحبة لمكان الإقامة لأن الجامع بينهم هو السجن، والذي يجمع في الصحبة أشياء كثيرة، ولكنه هنا ذكر صحبة السجن لأنها الجامع بينهم [2]، كما كرر العبارة مرة أخرى؛ ليشعرهما بالقرب، والود لكي يقبلا عليه ويستمعان إليه باهتمام، كما يلاحظ أدبه الجم مع المتحاورين في أنه لم يعين الهالك منهما وإنما قال (أمّا أحدكما . . . وأمّا الآخر) مع علمه بمن هو الهالك منهما، وذلك تأدبًا وتحرجًا من مواجهته بالشر وهذا قمة الأدب في الحوار المطلوب منا بألاّ يحرج أحدنا أيًّا من محاوريه.

فإذا أردت أختي أن تحاوري أي شخص فتخيري من العبارات التي تقربك

(١) النووي: المجموع، ج١، ص٣٦ .

(٢) الشعراوي: تفسير الشعراوي، ج٢، ص١٠٣٨ .

من الطرف الآخـر، فإن ذلك أدعى إلى كسب القـلوب، فكثيرًا مـا يقع الناس بالنيل من بعضهم البعض؛ وذلك بـإصدار بعض العبارات التي تنال من الطرف المحاور، ظنًّا منهم أن ذلك يضعف حجته، إلاَّ أن العبـارات القاسية لا تثمر إلاَّ عن جو من التنافر والتناحر بين الطرفين فـفي إحدى جلسات الحوار بين طالبات جامعيـات كان الحوار يدور حوله مسألة خلافـية وبعد أن أبدت بعض الأخوات آراءهن حول المسألة قامت إحداهن لتقول: (لو سمحتم حواركن ليس علميًّا)، وكان من الأدب أن تتـجه الأخت لتـقديم حجـتها أو الرد على كـلام الأخوات بالدليل المقنع لا أن تتجه إلى النيل منهن فتتـهمهن بعدم العلم، وهذا الأمر يقع فيه الكثيرون فبدلاً من الرد على الحـجة بمثلها يكون البديل هو إصدار العبارات القاسية التي تنال من الطرف المحـاور، والأدهى والأمر من ذلك إذا تحول الحوار إلى اتهام للنيات، فيقال للشخص: (هذا الكلام لا يقوله مسلم)، أو (هذا كلام فـيه كـفر)، فـينبغي الانشـغـال بالحوار لا بالشـخص المحاور، وقـد روي عن الشعبي، أنَّه سمع أحد الأشخـاص يحاور آخرين ويقع في أعراضهم ويصنفهم بمقاييـسه الخاصة فـقال: ههنا أشخاص قـد فرغوا من القضـاء، فلان في الجنة وفلان في النار[١]، ويقصد من ذلك أن من الناس من نصب نفسه قاضيًا عن الله -تعـالى- فـبـدأ يصدر الأحكام على الـناس، قبل أن يحكم الله -تعـالى- بين العباد.

وهناك عبارات أطلقهـا الكاتبان ريك بريكمان وريك كيرشنير في كـتابهما (التعامل مع من لا تطيقهم)[٢]، فقد أطلق الكاتبان اسم: (الدبابة المدرعة) على

---

(١) سيف، أحمـد محمد نور: من أدب المحـدثين في التربية والتعليم، دار البـحوث للدراسات الإسلاميـة وإحياء التراث، دبي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص٢٦، ٢٧.

(٢) الطبـيبان ريك بـريكمان، وريك كـيرشنيـر، كلاهما مـتخـصص في العلاج بالوسـائل الطبيـعيـة وهذا النوع من الدراسة يتـضمن تحديد مـبادئ الصحـة العقلية والعـاطفية وكـيفيـة استعـمال تلك المبادئ لمنع حـدوث الأمراض الصحية، ففي عـام ١٩٨٢م طلبت منهما إحدى المنظمات الصحية عمل برنامج عن التـعامل مع الشخص العصبي=

الشخص كثير الغضب الذي يلقي بالاتهامات والإهانات والألفاظ السيئة الغليظة على الآخرين، ولاشك أن تلك الصفة صفة قبيحة تعكر صفو الحوار وتقلبه إلى حالة من التشنج والهيجان.

وأنتِ أختي كمسلمة ينبغي أن تكوني أبعد ما يكون عن تلك الصفة قال -تعالى- مخاطبًا نبيه: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

فرب كلمة قاسية ترسلينها إلى محاوريك تكون كرصاصة طائشة تجعلك تخسرين من حولك، فالكلام إذا قيل لا يسترد ولا يمحى لذلك لابد من الحذر من التفوه بأية كلمة، ومن الطريف أن الكاتبين أطلقا اسم (القنبلة اليدوية) على الشخص الانفعالي والذي يصدر العبارات القاسية ضد محاوريه، وهذا النوع من المحاورين أيضًا يولد اتجاهًا سلبيًّا نحوه، وقد يكون هذا النوع من الناس الذي أطلق عليه النبي ﷺ **«الألد الخصم»** فقد قال رسول الله ﷺ : **«أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»**[1].

كما أنه يوجد من المتحاورين من يصيد غيره، ويتحين الوقت المناسب ليصدر نكتة أو تعليق يوقع بها الشخص المحاور في الحرج أو ليضعه في موقف الجاهل، وقد أطلقا الكاتبان عليه اسم (القناص)، وهذا الأسلوب يلجأ إليه كثير من المتحاورين فإذا لم يكن لديهم علم يبدونه أو حجة يظهرونها، فإنهم

=المزاح من الناس، فكتبا كتابًا بعنوان: (التعامل مع من لا تطيقهم) وقد ذكرا عشرة أنواع من الشخصيات التي لا يرغب الناس في التعامل معهم وهي :

١- الدبابة المدرعة ٢- القناص ٣- القنبلة اليدوية ٤- المتعالم ٥- المغرور ٦-الإمعة ٧- المتردد ٨- اللامبالي ٩- الرافض ١٠- الشخص الشاكي.

نقل الكتاب إلى العربية فريق بيت الأفكار، أمريكا، ١٩٩٨م.

(١) ابن حجر: فتح الباري، ج١٦، ص٥٦٥، والألد: هو الأعوج ، والمعنى ذم الشخص الذي من شيمته المخاصمة .

يستبدلون ذلك بالسخرية أو التهكم على الآخرين ظنًّا منهم أن ذلك ظرافة أو لوضع المحاور في وضع حرج فلا يتمكن من إتمام حواره، ففي إحدى الجامعات كان أحد الأساتذة يحاور طلابه وطالباته في قضية تعدد الزوجات، وكان هذا الأستاذ يحمل فكرة استحالة تطبيق نظام التعدد في المجتمع لأن ذلك يجر الويلات والدمار على الأسر -حسب رأيه- وأخذ يتناول الإحصائيات المتعلقة بأسر تدمرت من جراء التعدد، فحاورته إحدى الطالبات -وكانت متزوجة- قائلة: أنت يا أستاذ تنظر إلى الموضوع من جانب واحد، وهو جانب السلبيات، ولا تنظر إلى الجانب الإيجابي؛ لأن التعدد فيه حل لمشاكل كثيرة في المجتمع، فقال ضاحكًا: هل تحبين أن يتزوج زوجك عليك؟، وهنا لم يحاول الأستاذ الرد على الحجة بمثلها وإنما لجأ إلى أسلوب الإحراج بالنكتة ليجعل الفتاة تكف عن محاورته، وهذا مما ينبغي ألاَّ يكون في الحوار العلمي الذي يتطلب الرد على الدليل بالدليل.

❁❁❁

■ المبحث الثالث ■

● اللباقة وحسن الآدب●

قال تعالى:

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

[لقمان: ١٩]

من اللباقة، وحسن الأدب، عدم رفع الصوت أثناء الحوار، فالكثيرون يظنون أن رفع الصوت يعطي حجة أقوى للمحاور، ويضع الطرف الآخر في موقف الضعف، ولكن العكس هو الذي يحصل، فكلما كنتِ هادئة في حوارك بعيدة عن العصبية وعلو الصوت كان ذلك أدعى لاستماع الطرف الآخر لكلامك وتجاوبه معك، فالغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، فلا يرفع صوته في الخطاب إلاَّ سيئ الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه فيحاول إخفاء ذلك الشك بالحدة والغلظة وعلو الصوت(١)، ومن هنا فقد جاء التوجيه القرآني إلى خفض الصوت أثناء الحديث، وشبه البعيد عن ذلك الأدب بصورة منفرة بشعة فقال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(لقمان:١٩).

ويروى أنَّ رجلاً دخل على عمر بن عبد العزيز فتكلم الرجل فرفع صوته، فقال له عمر: مه، فإنما يكفي الرجل من الكلام أن يسمع جليسه(٢)، وقد أعجبتني سمة خفض الصوت في شعوب جنوب شرق آسيا، فلا نكاد نرى ماليزيًّا أو ماليزية أو أندونيسيًّا، أو أندونيسية يرفعون أصواتهم.

ومن الأدب ألاَّ تستأثري بالحديث دون الآخرين عند الحوار، فالاستئثار بالحديث مرض مصاب به كثير من الناس، فكم من محاور حول جلسة الحوار إلى محاضرة، يبدأ فيها بالكلام ولا يعطي غيره فرصة للكلام، فلابد أختي أن تفسحي المجال لغيرك لإبداء وجهة النظر؛ لأن الاستئثار بالحديث فيه شيء من الأنانية، فلولا اعتقاد الشخص بأنَّ غيره لا يملك الذي عنده لما استأثر بالحديث دون غيره، إضافة إلى أنَّ كثرة الكلام كثيرًا ما تؤدي إلى الخلط، فقد كان

(١) سيد قطب: الظلال، ج٥، ص٢٧٩٠ .

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د/محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ج١، ص٢٩٤ .

الرسول ﷺ يتكلم بكلام فصل لو عده العاد لأحصاه، وقد حذر رسول الله ﷺ من كثرة الكلام؛ لأنها تؤدي أحيانًا إلى الكذب فقال: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»[1].

إضافة إلى أنَّ كثرة الكلام تؤدي إلى الملل، فقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يدعو الناس إلى الاقتصاد في الكلام، وعدم الإطالة على الناس في الحديث فكان يقول: (لا تملوا الناس)[2].

ومن الأدب إشعار الأطراف المحاورين بوجود التقاء في وجهات النظر، وأن هناك نقاط اتفاق بينك وبين الطرف الآخر؛ كأن تقولي: (كلانا يتفق على نقاط كثيرة، ولكن هناك نقطة بسيطة لي فيها وجهة نظر).

فقد كان رسول الله ﷺ يشعر محاوره بأن كلامه جيد وأنه يتفق معه فيه ولكنه يود أن يوصل له معلومة أخرى، فقد روي أن سويد بن الصامت أحد بني عمرو بن عوف قدم مكة، فقابله رسول الله ﷺ ، فقال له سويد: لعلك معك مثل الذي معي؟، قال: مجلة لقمان . قال: «**اعرضها علي**»، فعرضها عليه فقال له: «**إن هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله -تعالى- علي، وهو هدى ونور**». فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام، فأسلم وقال: (إن هذا لقول حسن)[3].

❁❁❁

---

(١) رواه مسلم، المقدمة، رقم٦ .

(٢) سنن الدارمي: المقدمة، حديث رقم ٤٤٨ .

(٣) المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، دار المؤيد، ١٤١٢ هـ / ٢٠٠٠م. ص١٣٢ .

▪المبحث الرابع▪

• التواضع وخفض الجناح •

«الذي يتكلم عن نفسه كثيراً لا يفكر إلاَّ في نفسه فقط، والذي يفكر في نفسه فقط جاهل، تدعو حاله إلى الرثاء»

نيكولاس بتلر

ومن الحوار بالحسنى أن تحاوري غيرك من المسلمين بالتواضع ولين الجانب وخفض الجناح، وعدم الاستعلاء عليهم، فقد مدح الله -تعالى- المؤمنين بصفة التواضع فيما بينهم فقال: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾(المائدة: ٥٤).

كما خاطب النبي ﷺ وطلب منه التواضع وخفض الجناح فقال: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(الشعراء: ٢١٥).

وقد نبه النبي ﷺ إلى أن خلق التواضع في التعامل مع الناس، يرفع المرء عند الله -تعالى- فقال: « **إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، فلا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**»[١].

فكوني أختي متواضعة في حوارك مع الآخرين، ولا تتعالي على أحد؛ فإن سمة التعالي سمة قبيحة في الإنسان تجعله لا يرى إلاً نفسه، ويظن أنه أفضل من الآخرين، ويظن أن عنده كَمًّا من المعلومات والثقافة لا يملكها غيره، فتذكري أختي أنك مهما كان عندك من العلم فهناك من هو أعلم منك، وأنك كلما خفضت جناحك للمؤمنين وكنت متواضعة أثناء حوارك مع الآخرين كان ذلك أدعى لأن يستمع إليك الناس، بينما إذا كنت متكبرة متعالية فإنك لن تجدي قبولاً لقولك عند الآخرين وعند الله -تعالى- : قال رسول الله ﷺ : «**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**»[٢]، وقال أيضًا: « **إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون المتشدقون المتفيهقون؟**».

---

(١) رواه مسلم، باب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٥١٠٩ .

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، رقم ٤٥٣٧، والعتل هو: الشديد الغليظ، والجواظ: الجموع المنوع المختال في مشيته: ابن الأثير: النهاية، ج١، ص٣١٦، ج٣، ص١٨٠ .

قالوا: يا رسول الله: قدعلمنا «الثرثارون المتشدقون» فما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**»[1]، قال ابن حبان: (الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمده إلاَّ أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة، لكان الواجب عليه ألاَّ يتزيا بغيره)[2].

وقال أيضًا: (التواضع يرفع المرء قدرًا ويزيده نبلاً)[3].

وقد وصف الإمام مالك بالتواضع في تدريسه لطلابه فقد كان يحاورهم ويسمع لآرائهم، ويأخذ بأقوالهم، فوصفه أحد تلاميذه بقوله: (كان الإمام مالك إذا جلس معنا كأنه واحد منا ينبسط معنا في الحديث وكان شديد التواضع. . .) .

وكان الفضيل بن عياض يقول: (إن الله يحب العالم المتواضع، ويكره العالم الجبار ومن تواضع لله ورثه الحكمة)[4].

وقال الشافعي: (التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبه)[5].

فكوني أختي محاورة لطيفة، لينة الجانب بعيدة عن الكبر، والعجب بالنفس، فالمتكبر لا يقبل الحق، ومن شأنه لمز الآخرين واحتقارهم، فقد سئل رسول الله ﷺ عن الكبر فقال: «**الكبر: بطر الحق وغمط الناس**»[6]،

---

(١) رواه أحمد: مسند الشاميين رقم: ١٧٥٧٧ .

(٢) السبتي، ابن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق جمال بن محمد بن محمود، دار الفتح، الشارقة، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص٧٤ .

(٣) المصدر السابق، ص٧٥ .

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ج١٠، ص ٥٥ .

(٥) النووي: المجموع، ج١، ص٥٢ .

(٦) المصدر السابق .

وابتعدي أختي عن الأنا في الحوار فهي كلمة مبغضة شرعًا إذا قصد بها التعاظم أو الإعجاب بالنفس، فـهي كلمة إبليس، فقد خاطب الله -تعـالى- بها عندما أمـره بالسـجـود لآدم فـقـال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(الأعراف: ١٢).

ونسب الأمور إلى النفس تـعاليًا أيضًا مـن الأمور المبغضـة فقد قـال قارون متعاليًا: عندي ، قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾(القصص: ٧٨).

وقال فرعون متعاليًا متعاظمًا في نفسه: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(الزخرف: ٥١).

يقول الدكـتور «نيكولاس بتلر» رئيس جامـعة كولومبـيا: (الذي يتكلم عن نفسه لا يفكر إلاَّ في نفـسه والذي يفكر في نفسه فقط جـاهل، تدعو حاله إلى الرثاء)[1].



(١) كارينجي، ديل، كيف تكسب الأصـدقاء وتؤثر في الناس، تعـريب عبد المنعم محمـد الزيات، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص٩٧ .

■المبحث الخامس■

● حسن الاستماع ●

«لا ينتفع الرجل بالقول وإن كان بليغًا مع سوء الاستماع »

الأصمعي

حسن الاستماع فن ينبغي أن تتـعلمينه، كما تتعلمين فن الكلام، فلابد من اللباقة والإنصات للطرف المحاور، وعدم إقتحام الحديث على الناس، فكثير من مجالس الحوار لا يراعى فـيها أدب الاستماع، فمـا أن يبدأ شخص ما في طرح فكرة معينة، حتى يقوم آخر باقتحام الحديث عليه؛ ليتولى الطرف الآخر الحديث عنه، والأدهى من ذلك أن يسكته ليـقول له: إن هذه المعلومة معروفـة ومتداولة ولا داعي لذكرها، ففي إحدى جلسات الحوار مع طالبـات جامعيات كنا نتحاور عن منهج الإمام البـخاري -رحمه الله- فـي جمع الأحاديث في كتـابه (الجامع الصحيح)، وكانت هذه الجزئية إحدى جزئيات بحثي في رسالة الدكتوراه وكنت أود تقديم شيء يسير من المعلومات للحاضرات للفائدة، فبدأت الحديث وقلت: إن الإمام البخاري-اتخذ منهجًا صارمًا في تصحيح الأحاديث الشريفة، وقبل أن أكمل العبارة اقتحمت علـي إحداهن الحديث وقالت: قرأت أنه كذا وكذا. . .، فسكت قليـلاً إلى أن أنهت الأخت كلامـها، ولم يكن مـا ذكرته هو ذاته الذي أردت أن أقـوله، فقلت: عـفـوًا أردت أن أقول كـذا وكذا. . .، وقـبل أن أتم كلامي قامت لتقـول: نعم! لقد درسنا هذه المعلومة في الجامعـة، فصمت قليلاً لعلي أجـد فرصـة للكلام ولكنـي في النهاية فـضلت أن أوقف الحـوار؛ لأني وجدت أن الجلسة تحولت إلى من يقول أولاً، ومن يعرف المعلومة أو لا يعرفها، وهذا المثال منه الكثير في حياتنا، وهو عادة قبيحة تعتبر سوء أدب مع الآخرين، فقد روي عن معاذ بن سعيد أنه قال: كنا عند عطاء بن أبي رباح فتحدث رجل بحديث فاعترضه آخر في حديثه فقال عطاء:(سبحان الله! ما هذه الأخلاق؟ ما هذه الأحلام؟ -يعني العقول- إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلَمُ منه به، فأُريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئًا)[1].

(١) سيف، أحمد محمد نور: من أدب المحدثين في التربية والتعليم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص٦١ .

وقد ربط علماء النفس ومن بينهم (د/ رالف نيكولاس) أستاذ علم الفلسفة بجامعة (منيوسيتا) بين نجاح الإنسان، وإخفاقه في الحياة، وبين إنصاته إلى محدثيه، فقد أثبتت الدراسات التي أجراها هذا الفريق أن الشخص العادي غير المدرب على حسن الاستماع لا تزيد كفاءته في الاستماع على ٣٥٪ ، لذلك لابد أن يتدرب كل إنسان على أن يكون مستمعًا جيدًا من أجل أن يصبح متحدثًا جيدًا؛ لأنه وبكل بساطة إذا لم يكن للإنسان قدرة على تحمل الاستماع للآخرين، فإن الآخرين لن يستمعوا له مهما كان حديثه شيقًا، وجذابًا، وممتعًا[١].

لذلك فقد ركز علماؤنا القدماء على ضرورة أن يُعَلِمَ الإنسان نفسه الصمت وحسن الاستماع للطرف الآخر؛ لأنه وسيلة من وسائل تحصيل العلم، قال الأصمعي: سمعت أعرابيًّا يقول: لا ينتفع الرجل بالقول وإن كان بليغًا مع سوء الاستماع.

وقال الضحاك بن مزاحم: أول باب العلم الصمت، والثاني استماعه، والثالث العمل به، والرابع نشره[٢].

وقد جعل النبي ﷺ الصمت قاعدة تنجي المرء من كثير من المواقف الحرجة فقال: «**من صمت نجا**» إذ أن الصمت أحيانًا يفوت على الطرف الآخر فرصة إيقاع محاوره في المواقف الحرجة، فقد سأل عتبة بن ربيعة النبي ﷺ فقال يا محمد: أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت النبي ﷺ ، ثم قال عتبة: أنت خير أم عبد المطلب؟، فسكت النبي ﷺ ،فقال: إن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك[٣].

---

(١) الأقصري: اكتشف نفسك وقدراتك، ص٨٢ .

(٢) البغدادي: الجامع، ج١، ص٣٠٣ . (٣) الألباني، ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٢، ص٧٤ .

لذلك فقد وردت آثار في مدح الصمت في مواقع والكلام في مواضع أخرى: (رحم الله عبدًا تكلم فغنم أو سكت فسلم)، وقيل: (اخزن لسانك إلاّ من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان) وقيل: (إذا رأيتم المؤمن صموتًا وقورًا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة)[1]، وقال أحد الحكماء في فضيلة الصمت، والإنصات للناس: (إذا جالست العلماء فانصت لهم، وإذا جالست الجهلاء فأنصت لهم أيضًا، فإن في إنصاتك للعلماء زيادة في العلم، وفي إنصاتك للجهال زيادة في الحلم).

ومن حسن الاستماع عدم الإتيان بحركات تنم عن عدم رضا الطرف المحاور بما يقوله الآخرون، فقد ركز الإسلام على تعبيرات الوجه وحركات الجسم؛ لأنها تتكلم أحيانًا بصوت أعمق من صوت اللسان، لذلك فقد اعتبر الإسلام أن الحركات التي تصدر من المرء تدخل في الأمور التي يحاسب عليها الإنسان، وقد توعد الله -تعالى- الذي يقوم بأية حركة استهزاء واستخفاف بالناس بالويل فقال: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾(الهمزة: ١).

كما عد الإسلام حركة الوجه أو الرأس من الأمور التي تعبر عما يكنه القلب، لذلك فقد ذم مشركي العرب لتلون وجوههم تعبيرًا عن عدم الرضا بما قسمه الله لهم من الرزق، فعندما يبشر أحدهم بالأنثى فإن الغضب وعدم الرضا كان يظهر على قسمات وجهه قال -تعالى-﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾(النحل: ٥٨). فهو لم يتكلم ولم تصدر منه أية عبارة، وإن ظهر الاستياء على ملامح وجهه تعبيرًا عما يكنه قلبه، كما ذم القرآن الكريم المنافقين لإتيانهم حركات في رؤوسهم تدل على عدم الرضا بما يقوله النبي ﷺ والمؤمنون فقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ

---

(١) الفتلاوي، د/ سهيل حسين: أدب المجالس في الإسلام، دار الضياء، الأردن، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص٦٦ .

وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ (المنافقون: ٥). فكل هذه الأمور ينبغي ألاَّ تصدر من المحاور نحو الآخرين؛ لأنها خروج عن حدود الأدب، فقد روي عن أحد العلماء أنه قال: (الإنصات من العينين)، فقال له سفيان بن عيينة: وما ندري كيف ذلك؟ قال: إذا حدثت رجلاً فلم ينظر إليك لم يكن منصتاً[١].

فكوني أختي مستمعة جيدة، وأظهري أنك مهتمة بحديث الطرف الآخر، فإن ذلك مدعاة إلى التآلف، يقول ديل كارينجي: (فلكي تصبح محدثًا بارعًا كن أولاً مستمعًا طيبًا)، وفي ذلك يقول مستر (تشارلس نورتام لي): (لكي تكون هامًّا كن مهتمًا)[٢].



(١) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص٤١٠ .

(٢) كارينجي: كيف تكسب الأصدقاء، ص٩٨ .

■المبحث السادس■

● عدم الغضب ●

«متى رأيت صاحبك قد غضب وأخذ يتكلم بما لا يصلح، اصبر لفورته؛ فإن الشيطان قد غلبه»

ابن الجوزي

رحمه الله

الغضب سمة مذمومة شرعًا **إذا كانت للنفس**، ولكنها تكون محمودة إذا كانت لله عز وجل، فقد سجل لنا القرآن الكريم أن موسى -عليه السلام- غضب غضبًا شديدًا عندما رجع إلى قومه فوجد أنهم قد تركوا عبادة الله -تعالى- وعبدوا عجلاً له خوار، قال -تعالى-: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ**﴾(الأعراف: ١٥٠).

فقد كان غضبه خالصًا لوجه الله -تعالى- وهكذا كان النبي ﷺ كما وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها: لا يغضب لنفسه، ولا يغضب إلاَّ إذا انتهكت حرمات الله عز وجل، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنَّما فقئ في وجنتيه حب الرمان، فقال: «**أبهذا أمرتم، أبهذا أرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألاَّ تنازعوا فيه**»[١].

والغضب المذموم ذلك الغضب الذي يكون للنفس، ولغير الله -تعالى- وهو أكثر ما يكون في مجالس الحوار، فإذا خالف شخص آخر، فإنه يغضب، ويحمر وجهه، وكثيراً ما يكون الغضب؛ لأنَّ أحد الطرفين يهدف من وراء الحوار إلى الانتصار على محاوره، فإذا أعيته الحجة، أو شعر أن الطرف الآخر غير مقتنع بما يقوله فإنه يتحول إلى الغضب، وهي سمه تقلل من هيبة المرء، وتضعف حجته، وتفقده التركيز قال العلماء: لو لم يكن في الغضب خصلة تذم إلاَّ إجماع الحكماء قاطبة على أن الغضبان لا رأي له، لكان الواجب عليه الاحتيال لمفارقته بكل سبب[٢].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب القدر، ج٤، ص٤٤٣، رقم ٢١٣٣ .

(٢) الشهري، زاهر بن محمد: لا تغضب، دار الشريف للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، ص٣٥ .

وقال الشاعر:

لم أر في الأعداء حين خبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

فالغضب يفقد المرء التوازن في الكلام، وحتى في السمع؛ فلا يفهم، ولا يسمع فقد روى إبراهيم التيمي عن أبيه قال أبو مسعود البدري: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: (اعلم يا أبا مسعود، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: **«اعلم يا أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»** قال: فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا).

وفي رواية أنه قال: هو حر لوجه الله، فقال: **«أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار»**[1].

وقد علَّمنا الأحنف بن قيس الحلم والصبر وعدم الغضب ممن كانوا يؤذونه فكان مثالاً يضرب به في الحلم وسعة الصدر، فقد حاول أعرابي أن يستفزه ويغضبه من خلال حوار دار بينهما، إلاَّ أنَّ الأحنف بن قيس بقي هادئًا يرد عليه بحلم وأناة دون أن يتحرك قيد أنملة بسبب استفزازه له، فقد تذاكر جماعة فيما بينهم أخبار معن بن زائدة وكرمه، فقام أعرابي وأخذ على نفسه أن يغضبه فأنكروا عليه، ووعدوه مائة بعير إن هو فعل ذلك، فعمد الأعرابي إلى بعير فسلخه وارتدى بإهابه واحتذى ببعضه جاعلاً بطنه ظاهرًا، ودخل عليه بصورته وأنشأ يقول:

أتذكرُ إذ لحَافُكَ جلدُ شاةٍ وإذْ نعلاكَ من جلدِ البعيرِ

قال معن: أذكُره ولا أنساه.

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ٣١٣٦ .

فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطَاك ملكًا وعلَّمكَ الجلوس على السرير

فقال معن: إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء.

فقال الأعرابي:

فلست مُسَلِّمًا بأن عشت دهرًا على معن بتسليم الأمير

فقال معن: السلام خير، وليس في تركه خير، فقال: الأعرابي:

سأرحل عن بلاد أنت فيها ولو جار الزمان على الفقير

فقال معن: إن جاورتنا فمرحبًا بالإقامة، وإن جاوزتنا فمصحوبًا بالسلامة.

فقال الأعرابي:

فجد لي يابن ناقصة بمال فإني قد عزمت على المَسيرِ

فقال معن: أعطوه ألف دينار، تخفف عنه مشاق الأسفار. فأخذها وقال:

قليل ما أتيت به وإني لأطمع منك في المال الكثير

فَثَنِّ فقد أتاك الملك عفواً بلا عقل ولا رأي مُنيرِ

فقال معن: أعطوه ألفًا ثانيًا، كي يكون عنَّا راضيًا.

فقال الأعرابي:

سألت الله أن يبقيك دهرًا فما لك في البرية من نظير

فمنك الجود والإفضال حقًّا وفيض يديك كالبحر الغزير

فقال معن: أعطيناه على هجونا ألفين، فليعط أربعة على مدحنا، فقال الأعرابي: بأبي أيها الأمير ونفسي، فأنت نسيج وحدك في الحلم، ونادرة دهرك في الجود ولقد كنت في صفاتك بين مصدق، ومكذب، وأذهب ضعف الشك قوة اليقين(١).

(١) الشهري: المرجع السابق.

الفصل الثالث

• نماذج من حوار النساء •

- حوار امرأة بالقرآن الكريم .
- حوار ملكة سبأ .
- حوار سفانة بنت حاتم الطائي .
- حوار أسماء بنت يزيد .
- حوار مطلقة .
- حور امرأة مع رجل يبحث عن زوجة .

■ حوار امرأة بالقرآن الكريم ■

قال عبد الله بن المُبَارك: خرجت حاجًا إلى بيت الله الحرام، فبينما أنا في الطريق إذ أنا بسواد فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها دِرْعٌ من صوف، وخمار من صوف، فقلت: السلام عليكِ ورحمة الله وبركاته.

قالت: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾(يس:٥٨).

قلت: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟.

قالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(الإسراء:١).

قال: فعلمت أنها قضت حجها، وتريد بيت المقدس.

قال: منذ كم أنتِ في هذا الموضع؟.

قالت: ﴿ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾(مريم:١٠).

فقلت: ما أرى طعامًا تأكلين؟.

قالت: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾(الشعراء:٧٩).

قال: فبأي شيء تتوضئين؟.

قالت: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾(المائدة:٦).

قال: إن معي طعامًا فهل لك في الأكل؟.

قالت: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾(البقرة:١٨٧).

قال: ليس هذا شهر رمضان.

قالت: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:١٥٨).

قال: قد أبيح لنا الإفطار في السفر.

قالت: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:١٨٤).

فقلت: لم لا تكلميني مثلما أكلمك؟.

قالت: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(ق:١٨).

قال: فمنْ أيُّ الناس أنت؟.

قالت: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(الإسراء:٣٦).

قال: قد أخطأت، فاجعليني في حل.

قالت: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾(يوسف:٩٢).

قال: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه، فتدركي القافلة؟.

قالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾(البقرة:١٩٧).

قالت: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾(النور:٣٠).

فلما ركبت الناقة قالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(الزخرف:١٣:١٤).

قال: فأخذت بزمام الناقة، وجعلت أسرع، وأصيح.

فقالت: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾(لقمان:١٩).

قال: فجعلت أمشي رويدًا، وأترنم الشعر.

قالت: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾(المزمل:٢٠).

قال: لقد أوتيت خيرًا كثيرًا.

قالت: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾(البقرة:٢٦٩).

قال: ألكِ زوج؟.

قـالت: ﴿ يَأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْـأَلُوا عَنْ أَشْـيَـاءَ إِن تُبْـدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(المائدة: ١٠١).

فلما دنوا من قافلة قال: هذه القافلة فمن لكِ فيها؟.

قالت: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(الكهف: ٤٦).

فعرف أنَّ لها أولادًا فيها فقال: وما شأنهم في الحج؟.

قالت: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(النحل: ١٦).

فعلم أنَّهم أدلاء الركب، فسألها عن أسمائهم.

فـقـالت: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾(النساء: ١٢٥). ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾(النساء١٦٤). ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾(مريم: ١٢).

فنادى: يا إبراهيم، يا موسى، يا يحيى، فـإذا بشبـان كأنـهم الأقمـار قد أقبلوا، فلما استقر بهم الجلوس قالت:

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾(الكهف: ١٩).

فمضى أحدهم فاشترى طعامًا فقدموه بين يدي ابن المُبارك فقالت:

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾(الحاقة: ٢٤).

فقـال: الآن طعامكم عليَّ حرام حتى تخـبروني بأمرها، فـقالوا: هذه أمنا فهي منذ أربعين سنة لم تتكلم إلاَّ بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء[1].

(١) عاشـور، قاسم: نسـاء ذكيات جدًا، دار طويق للنشر والـتوزيع، الرياض ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ١٣، ١٤، ١٥.

■ حوار ملكة سبأ ■

سجل لنا القرآن الكريم حوارًا رائعًا بين ملكة سبأ، والملأ الذين حولها حين جاءها خطاب من النبي سليمان عليه السلام، فقد عرضت الخطاب الذي جاءها على الملأ قائلة: ﴿ **يَأَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾(النمل: ٢٩: ٣١).

فقد قالت: ألقي إليَّ: وهذا يدل على أنها لا تعلم من الذي ألقاه، أو ربما لا تريد أن تخبرهم بمن ألقاه، ووصفت الكتاب بأنَّه كريم. فقيل: لحسن مضمونه، وما ورد فيه[1] وقيل: لأنه مختوم وجاء من عند ملك ذائع الصيت[2]، وربما مهدت لهم بتلك العبارة: لأنها أرادت أن توحي إليهم أنها لا تريد المقاومة، أوالخصومة.

وذكرت لهم أنه مطلوب منهم في هذا الكتاب أمر واحد فقط وهو ألاَّ تمتنعوا علي وأتوني مستسلمين طائعين لأمر الله -تعالى- وبينت لهم من هو مرسل الكتاب فقالت: (إنَّه من سليمان). وهذا يدل على أنَّها أخبرتهم بمرسل الكتاب لأهمية ذلك بينما لم تذكر لهم اسم الذي ألقاه.

ثم عادت الملكة لتخاطب الملأ حولها، وتطلب مشورتهم في الأمر فقالت: ﴿**يَأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ**﴾(النمل: ٣٢).

فحاولت استطلاع آرائهم من خلال عرض الأمر عليهم وبينت لهم أنها لا تستبد برأي ولا بقضاء دون الرجوع إلى استشارتهم، فجاءها الجواب منهم بأنهم

---

(١) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج٨، ص٦٥ .

(٢) الرازي، فخرالدين محمد: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج١٢، ص، والجمل، سليمان بن عمر العجيلي: الفتوحات الإلهية، دار الفكر، بيروت، ١٤٨٥هـ / ١٩٩٤م، ج٢، ص٣٢٦

أولو قوة في العــدد والعدة ويجيدون فنون الحــرب، والقتال، وأمر القــتال، أو الصلح مفوض لها فهم على استعداد لتنفيذ ما تأمر به[١]، لكن على ما يبدو أن الملكة كانت مــسالمة تكره الحرب والتدمــير فلجأت إلى سلاح الملاينة، فــأخبرت الملأ أنَّ المواجــهة قد تــؤدي إلى التدمــير فقــالت: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾(النمل: ٣٤).

لذلك فقد رأت أنَّ الأسلوب الأولى الذي يجنبها، وقومها ذلك الدمار، هو إرسال الهدية لهم لتنظر بعد ذلك ما يتمخض عنه هذا التصرف فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾(النمل: ٣٥).

فهي تــرى أنَّ الهدية تلين القلب، وتعلن الود وقــد تفلح في دفع القــتال[٢] قال قــتادة: (يرحمهــا الله كانت عاقلة في إسلامــها ،وشركهــا، قد علمت أن الهدية تقع موقعها من الناس)[٣]، إلاَّ أن اقتراحها هذا لم يلق ترحيبًا عند سليمان عليه السلام، بل أثار غــضبه، فرد الهدية وبين أنه لا يــبالي بكل ما عندهم من متــاع الدنيا فضــلاً عن الهدية التي أرسلوها، فــقد آتاه الله خــيرًا من ذلك وهو النبوة والإيمان بالله -تعالى- لذلك قال لهم: إن أمــثالهم هو الذي يفرح بالهدايا استكثارًا أو افتخارًا أما هو فيراه عــرضًا تافهًا رخيصًا فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾(النمل: ٣٦).

وأعلن بعد ذلك الحرب عليهم، وطلب إرسال جنود لا قبل لهم بها، وعلى ما يبــدو أنَّ الملكة أخبــرته أنَّها قــادمة إليــه مع بعض الملوك كمــا ورد في كتب

(١) القاسمي: المرجع السابق، ج٨، ص٦٦ .
(٢) سيد قطب: الظلال، ج٥، ص ٢٦٤٣ .
(٣) الماوردي: النكت والعيون، ج٤، ص٢٠٧ .

التفاسير[١]، فطلب ممن حوله أن يأتوه بعرشـها فقال: ﴿يَأَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾(النمل:٣٨).

وطلب منهم تنكيره لها وأن يغيروا معالمه، ربما لاختـبار ذكائها وفطنتها، أو ليجعل ذلك دليـلاً على صدق نبوته[٢]، وقد كانت الملكة من الذكاء بمكان فلم تنكر أنه عـرشهـا وفي نفس الوقت لم تثبتـه، فلم تقل: هو، ولم تقل: ليس هو، وإنما جاءت بعبارة دالة على الظَّن فـقالت: (كأنَّه هو) فخرجت من الموقف الحرج بتلك العبارة وهذا يدل على فراستها وفطنتـها وحسن تصرفها في مواجهة المفاجأة التي أعدت لهـا، وختمت قصتها في الآيـات الكريمة، بإعلانها الإسلام مع سليمان -عليه السلام- وأيضًا هنا تخيرت من العبارات ما يليق بمن اتجه قلبه إلى الله -تعالـى- فاعتـرفت بذنبهـا وقالت: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(النمل:٤٤).

فقد أسلمت مع سليمان لله -تعالى- ولـم تسلم لسليمان، وإنما كان إسلامها خالصًا لله تعالى .

❁❁❁

(١) الماوردي : النكت والعيون ج٤، ص٢٠٧ .

(٢) المصدر السابق .

حوار سفانة بنت حاتم الطائي

لقد ضربت لنا سفانة بنت حاتم الطائي أروع الأمثلة في الفصاحة، وحسن العرض، والبيان، والأدب في حوارها مع النبي ﷺ ، فتروي لنا كتب التراجم أنَّ علي بن أبي طالب ﷺ أقبل على بني(طيئ) يدعوهم إلى الإسلام، فقاوموه مقاومة عنيفة، ودار القتال بين الطرفين، فهرب عدي بن حاتم الطائي بزوجته، وأولاده إلى الشام، وترك أخته سفانة فوقعت في الأسر، ووضعت في ساحة المسجد، فمر بها النبي ﷺ فقالت له: (هَلَكَ الوالد، وغَابَ الوافد -تقصد بذلك هروب أخيها عدي- فامنن علينا، فإنْ رأيت أن تخلي سبيلي ولا تُشْمت بي أحياء العرب، فإن أبي كان سيد قومه، يفك العاني ويقتل الجاني، ويحفظ الجار ويحمي الذمار ، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، ما أتاه أحد في حاجة فرده خائبًا، أنا بنت حاتم الطائي) .

قال رسول الله ﷺ : «**هذه صفات المؤمنين حقًا، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه**». ثم نظر إلى قومه فقال: « **ارحموا عزيز قوم ذل، وغنيًا افتقر**». فأطلق سراحها، وسراح قومها، وطلب منها ألاَّ تتعجل حتى تجد ثقة يبلغها قومها.

انظري أختي إلى جزالة ألفاظها، وفصاحتها، والحجج التي سردتها للنبي ﷺ ليطلق سراحها، وانظري إلى أدبها الجم على الرغم من أنَّها لم تكن قد دخلت في الإسلام، فقد قالت للنبي ﷺ : فإن رأيت أن تخلي سبيلي، ولا تشمت بي أحياء العرب. . . ثم بدأت بتعديد مناقب والدها، وإحسانه إلى الناس، ومكارم أخلاقه ليكون ذلك دافعًا للنبي ﷺ كي يعاملها بالمثل، ولم

تذكر مكارم أخيها عدي؛ لأنها كانت عاتبة عليه؛ إذ تركها وهرب بأهله، فكان ذلك الحوار الرائع سببًا في إطلاق سراحها وسراح جميع من وقع في الأسر من قبيلة طيئ.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد؛ بل لحقت بأخيها في الشام، وعندما وصلت إليه قالت له: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك،وتركت بقية والدك عورتك، لقد فعلت يا عدي فعلة ما كان أبوك يفعلها.

قال عدي:أي أُخَيَّة لا تقولي إلاَّ خيرًا فوالله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرتِ، قالت له: لقد أتيت ذلك الرجل -تقصد النبي ﷺ- فإني رأيت منه هديًا ورأيًا، ورأيت خصالاً تعجبني، رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير ويعرف قدرالكبير، ما رأيت أجود، ولا أكرم منه، فإن يكن نبيًّا يا عدي فللسابق فضله، وإن يكن ملكًا فلن تزال في عز.

فقال لها عدي: والله إن هذا هو الرأي.

فقالت له: ابتدر راغبًا، أو راهبًا فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه، قال عدي:فإذن ما ترينّ في هذا الرجل؟.

قالت: أرى أن تلحق به.

قال لها عدي: إني لأرجو أن يجعل يده في يدي .

فخرجت مع أخيها، وبايعا النبي ﷺ وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة[1].

وهكذا كانت هذه المرأة الفصيحة الجزلة تحسن الحوار، حاورت النبي ﷺ

---

(١) حمزة، عفت وصال: نساء رائدات ٤، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١١١٧هـ / ١٩٩٧م، ص٥٧- ٦٤ .

فأطلق سراحها وسراح قومها، وحاورت أخاها فسلَّم إلى رأيها وخرج معها مبايعًا النبي ﷺ .



حوار أسماء بنت يزيد

جاءت أسماء بنت يزيد موفدة عن النساء، وناطقة باسمهن تحاوره عن حقوق المرأة، وجزائها في الإسلام، فبدأت بعرض المشكلة التي تشعر بها هي وغيرها من النساء، فهن يُردن الثواب، والأجر الكثير، وتوهمن أنَّ الرجال يفوقون النساء في الأجر، فبدأت بأسلوب مهذب تخاطب النبي ﷺ فقالت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ثم بدأت بعرض الأدلة على أنَّ الرجال يفوقون النساء في الأجر فقالت: (إن الله -تعالى- بعثك للرجال، والنساء كافة، آمنا بك، واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، مواضع شهوات الرجال، حاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى، والحج بعد الحج، وشهود الجنائز، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وإذا خرجوا للحج أو الجهاد حفظنا أموالهم، وربينا أولادهم، وغزلنا أثوابهم، أفلا نشاركهم في الأجر؟ فكان الجواب الشافي من النبي ﷺ بأنَّ هناك أمورًا أوكلت إلى المرأة تقوم بها وتعملها، وهي تعدل الأجر الذي ذكرته عن أجر الرجال فقال:

«انصرفي يا أسماء وأَعْلمي من ورائك من النساء، أن حسن تَبَعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال»[1].



(١) حمزة: نساء رائدات، ص١٦، ١٧ .

حوار مطلقة

خاصمت أم عوف زوجة أبي الأسود الدؤلي زوجها عند معاوية بن أبي سفيان وكانت من ربات الفصاحة، والبلاغة، وعندما حضرت مجلس القضاء كان معها ابنها فقام أبوالأسود الدؤلي لينتزعه منها وقال: يا أمير المؤمنين: حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، فقالت أم عوف: صدق والله يا أمير المؤمنين، حمله خفًّا وحملته ثقلاً، ووضعه بشهوة، ووضعته كرهًا، إن بطني لوعاؤه، وإن ثديي لسقاؤه، وإن حجري لفناؤه.

فقال معاوية: إنها قد غلبتك في الكلام فتكلف لها أبياتًا لعلك تغلبها.

فأنشأ أبوالأسود يقول:

مرحبًا بالتي تجورُ علينا ... ثم سهلاً بالحاملِ المحمولِ

أغْلقتْ بابَها عليَّ وقالتْ ... إن خير النساء ذات البعولِ

شغلت نفسَها عليَّ فراغًا ... هل سمعتم بالفراغِ المشغولِ

فأجابته قائلة:

ليس من قال بالصوابِ والحقِ ... كمن جَارَ عن منارِ السبيلِ

كان ثديي سقاءه حين يَظْمَأ ... ثم حجري فناؤه بالأصيلِ

لَسْتُ أبْغي بوادي يابن حرب ... بدلاً ما علمته والخليلِ

فقضى لها معاوية بابنها وانصرفت[1].

انظري أختي إلى بلاغتها وحسن عرضها لمشكلتها، وحسن دفاعها عن

---

(١) كحالة، عمر رضا: المرأة في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٢٥٢.

نفسـها في حوارها مع زوجـها، فقد كـان حسن حوارها أن أنصـفها الخليـفة، وحكم لها بولدها.



حوار امرأة مع رجل يبحث عن زوجة

يروى أنَّ خالد بن صفوان نظر إلى جماعة في المسجد بالبصرة فقال: ما هذه الجماعة؟ قالوا: امرأة تدل على النساء.

فأتاها فقال لها: ابغني امرأة.

قالت: صفها لي.

قال: أريد بكرًا كثيِّب، أو ثيبًا كبكر، حلوة من قريب، فخمة من بعيد، كانت في نعمة، فأصابتها فاقة، فمعها أدب النعمة، وذل الحاجة، فإذا اجتمعنا كنا أهل الدنيا، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة.

قالت: لقد أصبتها لك.

قال: وأين هي؟.

قالت: في الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها[1].

فهذه المرأة أدركت أن ما يطلبه الرجال من صفات ينشدونها في المرأة المطلوبة كزوجة، كثيرًا ما يصعب أن تتوفر في أرض الواقع، وإنَّما هو من نسج الخيال، ولا يمكن أن توجد إلاَّ في الجنة، فوجهته إلى العمل الصالح لكي يحظى بها في الجنة.

❁❁❁

(١) الخشت، محمد عثمان: المرأة المثالية في أعين الرجال، مكتبة الساعي، الرياض، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

الخاتمة

لقد تناولت الدراسة مجموعة من المبادئ، والأصول التي يقوم عليها الحوار ومجموعة من الآداب، التي ينبغي مراعاتها عند الحوار وهي:

١- أن يكون الهدف من وراء الحوار إظهار الحق، وليس إفحام الطرف الآخر وإسقاط حججه.

٢- أن العلم أصل من أصول الحوار، فلا يجوز أن يتكلم المرء بما ليس له به علم.

٣- أن الحجة، والبرهان من ركائز الحوار، فهما يدعمان وجهة نظر الشخص المحاور، كما أنَّ الدليل القوي يمنع الحوار من الاتجاه إلى الجدال والمراء.

٤- هناك الكثير من الآداب التي ينبغي مراعاتها عند الحوار، وهي مستقاه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن ذلك أن يكون الحوار بالحسنى لكي يسود جو الحوار الألفة، والمحبة، والود، ولابد من حسن اختيار العبارات؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر، وتؤثر في القلب، بينما الكلمة الخبيثة، تنفر القلوب، كما ينبغي التحلي باللباقة والأدب عند محاورة الآخرين، وذلك بخفض الصوت أثناء الحوار، وتوجيه الكلام لجميع الحاضرين، وعدم الاستئثار بالحديث دون الآخرين، إضافة إلى التواضع، وعدم التعالي على الآخرين، والحرص على حسن الاستماع للطرف الآخر، والتحلي بالصبر وعدم الغضب؛ لأن الغضب يفقد المرء التركيز، وبالتالي يفسد جو الحوار الذي ينبغي أن يسوده الصفاء، والود، فالاختلاف في وجهات النظر مهما كان شاسعًا ينبغي ألاَّ يفسد الود.

٥- وقدمت الدراسة مجموعة من النماذج لحوار النساء، وهي نماذج تطبيقية

على أصول الحوار وآدابه.

وأخيـراً أسأل الله -تعـالى- أن ينفع أخواتي بما جـاء في هذه الدراسة وأن يغـفر زلاتـي يوم لا ينفع مـال، ولا بنون إلاً من أتى الله بقلب سليم، وآخـر دعـوانا أن الحمـد لله رب العالمين، وصلى الله على سيـدنا مـحمـد وعلى آله وصحبه وسلم.



أهم المصادر والمراجع

١- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري:

النهاية في غريب الحديث والأثر، دار الفكر، لبنان، د،ت.

٢- الأصفهاني، الراغب:

مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م.

٣- الأقصري، يوسف:

اكتشف قدراتك ٢، دار اللطائف، ط١، ١٤٣٢هـ ٢٠٠٢/م.

٤- بريكمان ، ريك ، كيرشنير ريك:

التعامل مع من لا تطيقهم، ترجمة : فريق بيت الأفكار الدولية بأمريكا، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٥- البقعاوي، صالح بن سليمان المطلق:

مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م .

٦- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن محمد:

أنوار التنزيل على أسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٧- الجرجاني، محمد بن علي:

كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأنباري، الناشر دار الكتاب العربي،

١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٨- الحبيب، طارق بن علي:

كيف تحاور، دليل علمي للحوار؟ دار البيت العتيق، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٩- ابن حجر، أحمد بن علي:

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار أبي حيان، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٠- حمزة، عفت وصال:

نساء رائدات، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١١- الخشت، محمد عثمان:

المرأة المثالية في أعين الرجال، مكتبة الساعي، الرياض، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٢- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت:

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د/ محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٣- الدقر، عبد الغني:

سلسلة أعلام المسلمين: مالك بن أنس إمام الهجرة، دار القلم، دمشق، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٤- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

١٥- سيف، د/أحمد محمد نور :

أدب المحدثين في التربية والتعليم، دارالبحوث وإحياء التراث، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

١٦- السيوطي، جلال الدين:

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ / ٢٠٠١م.

١٧- الشامي، أحمد صالح:

المهذب من إحياء علوم الدين، دار القلم، دمشق، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٨- الشعرواي، متولي:

تفسير الشعراوي، قطاع الثقافة، د.ت.

١٩- الشهري، زاهر بن محمد:

لا تغضب، دار الشريف للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢٠- الشوكاني، محمد بن علي:

فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٢١- الصابوني، محمد علي:

مختصر ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢٢- عاشور، قاسم:

نساء ذكيات جداً، دار طويق للنشر والتوزيع، تونس، د.ت.
٢٣- ابن عاشور، محمد الطاهر:
التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت.
٢٤- عثمان، أكرم مصباح:
كيف تدير حواراً ناجحًا ؟، جمعية المعلمين، دولة الإمارات، ٢٠٠٢م.
٢٥- الفتلاوي، د/ سهيل حسين:
أدب المجالس في الإسلام في عهد النبي ﷺ، دار الضياء، الأرون ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م.
٢٦- القاسمي، محمد جمال الدين:
محاسن التأويل، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
٢٧- ابن قدامة المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن:
مختصر منهاج القاصدين، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
٢٨- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري:
الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢،١٣٩٨هـ / ١٩٥٢م.
٢٩- قطب، سيد:
في ظلال القرآن، دار العلم، جدة، ط١٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٣٠- القنوجي، صديق بن حسين بن علي النجاري:
فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٣١- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر:

بدائع التفسير، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٣٢- كارينجي، ديل:

كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس؟ تعريب: عبد المنعم محمد الزيادي، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

٣٣- كحالة، عمر رضا:

سلسلة بحوث اجتماعية، المرأة في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م.

٣٤- المباركفوري، صفي الرحمن:

الرحيق المختوم، دار المؤيد، ط ١٤١٢هـ / ٢٠٠٠م.

٣٥- الماوردي، علي بن محمد:

النكت والعيون، المعروف بتفسير الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، د بتفسير الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٣٦- ابن منظور، جمال بن مكرم:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.

٣٧- الهيثمي، علي بن أبي بكر:

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الفصل التمهيدي

الفصل الأول
مبادئ وأصول الحوار

الفصل الثاني
آداب الحوار

الفصل الثالث
نماذج من حوار النساء

صدر حديثًا

الرَّحِيقُ الْمَخْتُومُ

بحث

في السيرة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

تأليف / فضيلة الشيخ

صفي الرحمن المباركفوري

الجامعة السلفية – الهند

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة

ت: ٥٦٣٣٥٧٥ - فاكس: ٥٦٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة - عين شمس

ت: ٤٩٢٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥

تحت الطبع

تاريخ الخلفاء الراشدين (٤)

أسمى المطالب في سيرة

أمير المؤمنين

علي بن أبى طالب

رضي الله عنه

شخصيته وعصره

د. علي محمد محمد الصلابي

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة

ت: ٥٥١٥٥٧٥ - فاكس: ٥٣٧٤٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة - عين شمس

ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥